ذراع الأخطبـــوط

ذراع الأخطبوط

رواية

علـي محمـود

اسم الكتاب: ذراع الأخطبوط
اسم الكاتب: علي محمود
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2019 / 25445

للنشر والتوزيع
Arabic Library

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الكلمةُ سلاح

فاختر، إما أن يكون في يدك أو على رقبتك.

إلى السادة أصحاب نظرية:

"الحياة فرص والماهر من اقتنص" ،،،

بفضل نظريتكم تلك أصبحنا نبحث عن الإنسان الذى فقدناه وسط الماديات واللاأخلاق فهنيئاً لمن يجده وسط هذا الكم من الركام .

حى دار السـلام

..... فى حى دار السلام بمحافظة القاهرة ذلك الحى الشعبى الملىء بالسكان والذى يطلق عليه سكانه اسم " الصين الشعبية " نظرا لكثرة زحامه بقاطنيه ، فى داك يقطن سفيان المسيرى ذلك الشاب ذو العشرين عاما ،شابا قوى البنية ، طويل القامة خمرى اللون ، عيناه سوداوان والشعر اسود فاحم ، ذو عقلية متقدة وذكاء حاد ، وروحه مرحة يحب المراح والهزار، وتقف امام سفيان ظروفه المادية المتعثرة دوما كحجرعثرة بينه وبين ما يرغبه وهاهو على وشك انهاء دراسته الجامعية ، ولقد اعتاد سفيان ان يستيقظ من نومه يوم اجازته على صوت جلبه اما من صياح صبية يتشاجرون او خلاف بين الجيران حول هذا الامر او داك ، وفى صبيحة هده الجمعة كان الامر كالمعتاد صراخ بين اطفال حول حقيبة يها كتب قديمة القتها فى صندوق القمامة " الحاجة نفيسة " جارة سفيان التى تقطن الطابق الارضى فى نفس منزل سفيان فأخذها احدهم وناوشه زميله ليأخذها منه ، فنهض سفيان من نومه ذون ادنى اكتراث لما يدور اسفل المنزل فقد اعتاد على هذا ، خرج من غرفته ليجد امه فى الخارج تجلس مع ابيه فى ردهة الشقة يتبادلان الحديث ، فجلس بجوارهما وهو يبتسم ، فبادرته امه بالحديث

.. لقد ايقظك صوت الصبية وعراكهم اليس كذلك ؟؟

فأوما براسه مجيبا اياها ، اى نعم .

ثم التفت سفيان إلي ابيه والابتسامة تعلوا وجهه وهو يسال ابيه ولما كان هذا العراك ، فاجابه اباه

- هذا الشجار مند برهة وجيزة حيث القت جارتنا الحاجة " نفيسة " بحقيبة كتب قديمة فى صنذوق القمامة الموجود بقارعة الطريق فتعارك الاولاد على من يأخذها ، لا تشغل بالك تلك عادتهم .وهاهم قد انهوا عراكهم لعلهم مزقوها بين بعضهم البعض .

ثم طلب سفيان من امه ان تحضر له الافطار حتى يتسنى له تغيير ملابسه والاستعداد للنزول إلي صلاة الجمعة باكرا ، وبالفعل تناول افطاره وغير ملابسه وأخذ طريقه نحو المسجد ، وما ان خرج من منزله حتى وجد سلم المنزل ملىء بالاوراق الممزقة فتدكر ما قاله ابيه عن نهاية المشاجرة بين الاطفال فتبسم ضاحكا ثم التقط احد الاوراق وأخذ يقرأوها وهو فى الطريق إلي المسجد ، فادا بها رموز وكلمات اقرب إلي الطلاسم فاسترعت انتباهه وحاول ان يفهم ما بها ولا حظ ان تلك الرموز ما هى الا حروف بالكتابة المصرية القديمة ومعها كلمات عربية والورقة صفراء يبدوا عليها انها من كتاب عن مخطوطة نادرة قديمة

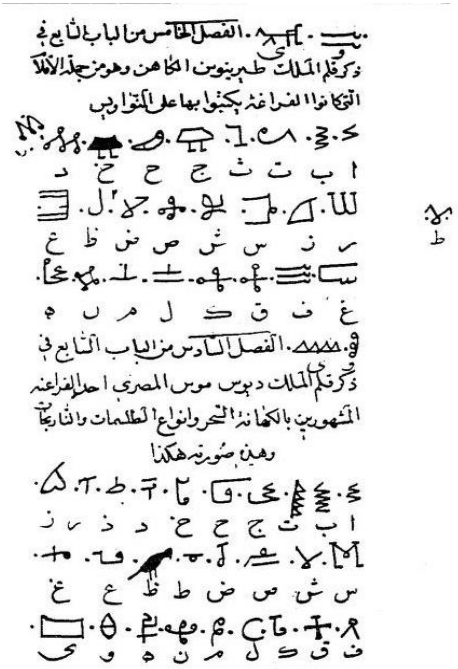

فطوى الورقة ووضعها فى جيبه ثم اكمل طريقه إلي المسجد وصلى الجمعة وعاد مسرعا نحو المنزل ليحاول استجماع بقية الاوراق لعله يعرف ذلك الكتاب إلي قطعت تلك الورقة منه او يعرف المخطوطة الاصلية ، وما ان عاد إلي المنزل حتى وجد السلم نظيف ، فاسرع إلي شقته بالدور الثانى سائلا امه عن بقية الاوراق الممزقة التى كانت بالسلم فاخبرته ان الحاجة نفيسة جمعت بقية الاوراق ونظفت السلم والقت بها فى صنذوق القمامة ثانية ، فنزل مسرعا نحو صنذوق القمامة فوجد ان بلدية الحى قد أخذته . فعاد إلي الحاجة نفيسة جارتهم ليسألها عن

تلك الاوراق فأخبرته ان زوجها كان يهوى جمع الكتب القديمة وبعد وفاته لم تعد تلك الكتب تعنيها فى شىء فحمعتها والقت بجزء منها فى صنذوق القمامة وبقى جزء اخر بشقتها ستفعل به ما فعلته بالجزء الاول ، فطلب منها سفيان ان يأخذ تلك الكتب والاوراق فرحبت على الفور بل شكرته لانه سيخلصها من عبء الاحتفاظ بها ، وبالفعل حمل سفيان الكتب والتى منها الممزق والسليم وما هو مجرد بقايا وصعد إلي شقته وجعلهم فى ركن غرفته ثم جلس يقلب بين الوراق والكتب القديمة واطلع على بقايا الكتاب المهترىء الذى يحوى تلك الكتابات الفرعونية مقرونة بالعربية وسط ذهوله مما يحويه هذا الكتاب حيث بدا الكتاب وكانه ترجمة للغة المصرية القديمة واستمر لفترة ليست بالقليلة وهو يقرأ إلي ان شعر بالارهاق و غلبه النوم فتمدد مطلقا لنفسه العنان ليغط فى نوم عميق .

****

الجامعـــة

الضوضاء والصخب كبير هنا فى تلك القاعة الضخمة ، والتى يمكنها ان تتسع لالف فرد فهى اشبه بالمسرح الكبير وتحوى العديد من المقاعد المصفوفة بشكل متدرج ، فكل صف من المقاعد اعلى من الصف الذى قبله ، فى صدر القاعة توجد منصة القاء شبيهه بتلك التى يستخدمها الساسة حين يعقدون المؤتمرات الصحفية ، شدة الضجيج تجعلك لا تكاد تميز صوتا عن الاخر ، فهذا يتحدث مع هذا وهؤلاء يتبادلون النكات والضحكات مع هؤلاء ، وها هو احدهم يشير لاخر لكى يأتى ليجلس إلي جواره ، وهذا يُسر لزميله بشىء ، وذاك الشاب يلكز زميله فى قدمه لينظر إلي شىء ما ، وتلك فتاة تمسك اوراق فى يدها وتقرأها مع نفسها بصوت مسموع ، وبعض الفتيات ملتفات حول بعضهن يتهامسون بصوت خفى . تلك هى حالة قاعة الدكتور " على مبارك " التى تضم طلبة الفرقة الرابعة بقسم التاريخ فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، قرابة الخمسمائة طالب وطالبة بالسنة النهائية ، والجميع فى انتظار الدكتور " رياض السنهورى " استاد مادة التاريخ الفرعونى والذى ياتى من كلية الاثار ليحاضر لطلبة قسم التاريخ فى محاضرة اسبوعية كل احد ، ودوما ترى الصفوف الأولى يحتلها مجموعة الطلبة الذين عادة يكون تركيزهم منصب على الدراسة فقط واغلبهم من الطالبات مع قلة من الشباب الذكور ، ثم في الصفوف الخلفية ترى

الغالبية من الشباب الذكور والذين يغلب عليهم في جلساتهم المرح والهزار ولا يخلو الامر من الهمز واللمز حتى اثناء الشرح فى بعض المحاضرات ، وكذلك لا يخلوا الامر من بعض الطرائف والتعليقات بينهم ، وفي الصف الأخير من المدرج يحب سفيان الجلوس وسط زملاؤه في الصفوف الخلفية ، وبينما الجميع فى انتظار الدكتور رياض لالقاء المحاضرة، يجلس سفيان في الصف الأخير واضعا راسه على المسند الخشبى الذى امامه في حالة استرخاء اقرب إلي النوم ، وبجواره مباشرة يجلس صديقه المقرب " مروان الطرابلسى " ذلك الفتى المدلل ذو الملامح الغربية من بشرة بيضاء و شعر اشقر وعيون خضراء و ابن رجل الاعمال الكبير "سرحان الطرابلسى " ذو النفود والعلاقات المتعددة حتى ان اصدقاء سرحان الطرابلسى يطلقون عليه لقب " الاخطبوط " ووالدته هى السيدة " ميار الفاسى " ذات الاصول التركية والذى ورث مروان عنها ملامحه الغربية ، يتبادل مروان الضحكات والنكات مع بقية الزملاء بجواره ، ثم و بركلة مفاجئة من مروان في قدم زميله سفيان ، يرفع سفيان راسه لينتبه ان الدكتور رياض ، قد دخل إلي القاعة وعم الصمت المكان مع دخول ذلك الرجل الخمسينى للقاعة ، يتقدم الكتور رياض نحو منصة الالقاء بقاعة المحاضرة في مشهد ملىء بالمهابة ، حيث الملابس المنمقة من بدلة سوداء كاملة على جسد نحيل ممشوق كعارضى الأزياء ، وقميص أبيض ناصع ، ورباطة عنق سوداء ، مع نظارة النظر ، وحذاء اسود لامع ، والحقيبة الجلدية القابض عليها تحت ابطه ، مما يشعرك بانك امام

مسئول في وزارة الخارجية أو المخابرات وليس استاذ فى الجامعة ، يدخل الدكتور رياض إلي المدرج في خطوات معتدلة عليها الوقار ، ويتقدم نحو منصة الالقاء بالقاعة ليضع حقيبته عليها ويبدأ في فتحها ويخرج بعض الأوراق منها يرتبهم بين يديه ثم يغلق الحقيبة ويضع نظارته فوقها وينظر إلي الطلبه وبلهجة مقتضبة يلقى السلام على الطلبه ، معلنا ان محاضرة اليوم ستكون عبارة عن مقدمة في التاريخ الفرعونى ، ومن ثم بدأ في سرد مقومات الحضارة الفرعونية متحدثا عن عظم تلك الحضارة ومجدها وشواهدها العظيمة وكيف بهرت العالم ، وتعرض كذلك لمجهودات العالم الفرنسى شامبليون فى فك رموز و طلاسم حجر رشيد ' وكيف ان العالم على تطوره وتقدمه لم يزل عاجز عن فهم الكثير من خبايا تلك الحضارة واسرارها ، واخذ يعطى فكرة عامة عن الاسر الفرعونية وأسماء مؤسسى تللك الاسر ، واشهر ملوكهم والاحداث اللتى وقعت في عهدهم ، ثم امعن في تفاصيل الكثير من الاحداث والوقائع وكلا منهم مدعم بسنة وقوعة وشواهد من نصوص على الجدران والمعابد ، هذا والطلبة امامه ما بين ناظرا اليه يدون خلفه النقاط الهامة ، وبين من يحاول كتابة كل ما يقوله ، وهؤلاء اغلبهم من الطلبة الموجودين بالصفوف الأولى ، وهناك الطلبة الموجودين بالصفوف الخلفية والمكتفين بالمتابعة في صمت ، ومنهم سفيان ، والذى كان يبدوا عليه شيء من الاستغراب ، ثم وبشكل مفاجأ رفع يده طالبا الحديث ، فنظر اليه الدكتور رياض وبلهجة حادة وصيغة أمرة وهو يشير اليه بالسبابة وجه القول له :

-- اخبرتكم اكثر من مرة ان لا يقاطعنى احد اثناء الشرح ، اجلس مكانك وفى نهاية المحاضرة سل ما شئت .

... جلس سفيان والخجل يعتريه ، وزملاؤه من حوله يكتمون ضحكهم ، و اخذ يلوم نفسه على ما فعل من محاولة السؤال ، فما انتابه الا الحرج وسط اقرانه

.. اقترب منه زميله مروان وهمس في اذنه ساخرا وهو يكتم ضحكته ..

-- تحمل يا صديقى ، تلك ضريبة من يريد العلم .

.. فنظر اليه سفيان بشق عينه ، ولم يعيره انتباها واخذ يتابع الدكتور رياض وفى داخله يصب عليه اللعنات ، بعد ان اخجله وسط زملاؤه ، وبعد ان شرح واستفاض الدكتور رياض في المحاضرة ، اعلن ان من لديه سؤال يمكنه ان يسأل ، فلم ينهض احد للسؤال ، أعاد عليهم الامر انه بإمكان من يريد السؤال ان يسأل ، فبقى الجمع كما هو ، ثم اشار إلي سفيان قائلا :

-- انت يا من تجلس بالصف الاخير الم يكن لديك سؤال ؟؟

-- نهض سفيان واقفا ومحاولا التبسم ، كلا يا دكتور ، شكرا

... لم يعلق عليه الدكتور رياض واخذ يلملم أوراقه ويضعها في الحقيبة ، وارتدى نظارته ، وخرج من القاعة ، ليعود الصخب والضجيج مرة أخرى إلي القاعة ، وهذه المره يصبح سفيان هو مادة التنكيت والسخرية ، على هذا الموقف الذى تعرض له من الدكتور رياض ، ليسارع زميله " عامر " موجها السؤال اليه وهو يبتسم .

-- عن اى شىء كنت تريد ان تسأل يا سفيان ؟؟

.. لينظر اليه سفيان قائلا و بلهجة قاطعة :

-- ليس لك شان بهذا ؟

..ينفجر الجميع ضاحكا ثم يبدأوا في أخذ اغراضهم من حقائب وكتب ويتهيئون للخروج من القاعة ، ليهبطوا إلي فناء الجامعة وينضم كل طالب إلي زميل له و يمشى البعض منفردا ، ويتبع مروان صديقه سفيان متأبط كتفه ، وينظر اليه مبتسما :

-- تناسى ما حدث يا سفيان ، فتلك عادة الدكتور رياض وطريقته ، ولكن اخبرنى عن اى شىء كنت تريد ان تسأل ؟؟

-- نظر اليه سفيان متنهدا بملء صدره " اخشى ان اخبرك فتسخر " ؟؟

-- مروان محاولا كتم ضحكه ، كلا يا صديقى ، لن اسخر ، هيا تكلم

-- سؤال عميق ، طرأ على خاطرى ، يمكنه ان يغير مسار كل ما ندرسه وتعلمناه فى كتب التاريخ

... لم يستطع مروان تمالك نفسه اكثر من هذا فاطلق ضحكته وهو ينظر لسفيان قائلا :

-- سؤال عميق !! ومن اين اتاك هذا العمق ؟؟

-- كنت اعلم انك ستسخر ، فلتنسى هذا الامر ولنذهب لنرى مطعم خارج الجامعة فانا اشعر بالجوع .

رد الاعتبـــار

في داخل الممر الكبير المؤدى إلي قاعة المحاضرات بالدور الثالث والذى يحوى على جانبيه قاعات للمحاضرات وكذلك غرفة اجتماعات خاصة بهيئة تدريس لقسم التاريخ ، وغرفة رئيس القسم ، يسير مروان وسفيان وبقية زملاؤهم باتجاه قاعة المحاضرات الموجودة بأخر الممر لحضور محاضرة " الحضارة الاغريقية " والتي تدرسها " الدكتورة فرخنده " أستاذة التاريخ القديم ، والتى حصلت على درجة الدكتوراه العام الماضى في علم المصريات ، وهى شابة انيقة مثار اعجاب الطلبة بل وزملائها ايضا من هيئة التدريس باستثناء الدكتور رياض والذى يراها متحررة اكثر من الازم ، والدكتورة فرخنده لم تبلغ الثلاثين بعد ، وهى ذات ثقافة واسعة ومطلعة ولبقة الحديث ، انيقة المظهر ، ترتدى الملابس الكاجوال ولا تهتم كثيرا بالرسميات ، تتعامل مع الطلبة كزميلة

،،، يبدأ الطلبة في التوافد على القاعة فرادى وجماعات ليستمعوا لمحاضرة الدكتورة فرخنده ، واثناء سير سفيان وسط زملاؤه يراه الدكتور رياض وهو يجلس في غرفة الاجتماعات لهيئة التدريس ، فينهض واقفا ويتصدر باب غرفة الاجتماعات و ينادى عليه وهو يشير اليه بسبابته :

-- انت يا ولد ، انت انت.

.. يلتفت سفيان وزملاوءه إلي حيث يقف الدكتور رياض ، فينتبه سفيان

إلي انه هو المعنى بالنداء

-- انا يا دكتور

-- نعم انت " يتجه سفيان نحوه "

-- الست انت من كنت ترغب بالسؤال فى المحاضرة الماضية ثم تراجعت عن سؤالك ؟؟

-- يبتسم سفيان وهو يجيب .. نعم يا دكتور ، انا .

-- اسمع يا بنى انا لم امنعك من السؤال لشخصك ، ولكنى اخشى من انقطاع تسلسل الافكار اثناء الشرح ، ولزيادة التركيز ، فلا يكن فى صدرك شيء نحوى وان شئت معرفة امرا ما او سؤال لاتتردد فى المجيء إلي .

... يبتسم سفيان ويشعر بشيء من رد الاعتبار . وينتهز سفيان الفرصة محاولا اخذ موعد من الدكتور رياض بعد ان ينهى محاضرة الدكتورة فرخندة ، ويخبره سفيان انه بالفعل يود مناقشته فى بعض القضايا التى تشغله ، ويرحب الدكتور رياض ويخبره بانه سينتظره بعد محاضرته ويساله الدكتور رياض عن تلك المحاضرة لمن هى ، وما ان يخبره سفيان عن انها محاضرة الدكتورة فرخنده عن الحضارة الاغريقية حتى بدات مظاهر الامتعاض تظهر على وجه الدكتور رياض ، فكلا الدكتور رياض والدكتورة فرخنده ليسا على وفاق فهو رجلا تقليديا يرى فى استاذ الجامعة الصورة النمطية الماخوذة عنه كالزى الرسمى والكلام المقيد بحدود ، فى حين الدكتورة فرخنده اقرب إلي النمط الغربى الذى

لا يتقيد بالكثير من الرسميات .

ينصرف سفيان متوجها إلي قاعة المحاضرات ليجد المحاضرة قد بدأت والدكتورة فرخنده تشرح ومندمجة في الشرح ، فيقف على باب القاعة منتظرا أياها لتراه ، وما ان لمحته حتى ابتسمت ، فأشار لها مستأذنا للدخول ، فأشارت اليه بيدها ان تفضل

... يدخل سفيان إلي القاعة ويصعد سلالم المدرج ليصعد إلي المقاعد الخلفية حيث يحب الجلوس ، وحيث يوجد زملاؤه ، وينتبه إلي صديقه مروان جالسا وسط الصف فيخترق الطلبة الجالسين حتى يمر إلي صديقه ويجلس بجواره ، فيسلم عليه ويسأله مروان عن فحوى حديثه مع الدكتور رياض ، ويطلعه سفيان على ما دار بينهما ، وكيف انه رغم عجرفة الدكتور رياض الظاهرية الا انه انسان طيب وخلوق ، ويطلب سفيان من مروان إلي ان يذهبا إلي الدكتور رياض بعد المحاضرة لكن مروان يعتذر منه ، حيث سينصرف بعد المحاضرة إلي المطار ليستقبل والده من المطار ، فوالده سرحان بيه الطرابلسى وهورجل أعمال كبير و يعمل بالاستيراد والتصدير وله من العلاقات والتعاملات الكثير مع الجهات الحكومية وغير الحكومية ، وسيصل مصر اليوم قادما من روما والتى يسافر اليها كثيرا في تمام الساعة الثانية عشر ظهرا ، على طائرة مصر للطيران ، ويطلب مروان من صديقه ان يؤجل امر لقائه بالدكتور رياض إلي الغد او يوم اخر ، فيخبره سفيان ان لا بأس ان نؤجله ليوم اخر .

سجال تاريخي

... في داخل غرفة هيئة التدريس يوجد العديد من الدكاترة ، يتراصون على انتريه من الجلد الفاخر ، ويتوسطهم منضدة عليها العديد من فناجين القهوة ، وعامل البوفيه يتجول بينهم ليرى من يطلب شيئا وكذلك يرفع بعض الفناجين الفارغة ، والدكتور رياض يجلس في وسط الانتريه ، يحادث الدكتور بهجت المتخصص في اللغات المصرية القديمة ، وحولهم العديد من الدكاترة ، وفى لفتة عفوية من الدكتور رياض لاحظ وقوف سفيان على مسافة من باب الغرفة محاولا ان يثير انتباه الدكتور رياض ليراه ، فيشير اليه الدكتور رياض بيده ان تقدم ، يدخل سفيان إلي الغرفة حيث يجلس الدكتور رياض ، ولا يعيره احد من الحضور بالغرفه ادنى اهتمام فالعدد كبير والكل مشغول اما بحديثه مع دكتور زميل له او يتحدث في الهاتف والبعض يخرج ليذهب لالقاء محاضرته والاخر ياتى ويجلس مكان الذى خرج بعد ان انهى محاضرة للتوا ، ومنهم من يتناول قهوته وهو سارح شارد الذهن ، ووسط هذا المشهد المزدحم يدخل سفيان ويقف امام الدكتور رياض و ويسلم عليه و كذلك يسلم على الدكتور بهجت الجالس بجواره ، ويبادر الدكتور رياض بتوجيه الكلام إلي سفيان سائلا اياه .

-- ما اسمك ؟؟

-- اسمى سفيان يا دكتور

-- خير يا سفيان ؟ عن اى شيء كنت تريد السؤال ؟

-- هو ليس سؤالا بالمعنى التقليدى يا دكتور ، يمكن حضرتك تعتبره طرح جديد ، او اسلوب مختلف فى التفكير.

.. يفسح الدكتور رياض المجال بجواره ويطالب سفيان بالجلوس لشرح ما لديه ، ويبدأ سفيان في طرح فكرة انه لماذا من المسلم به ان كل ما نقرأه في التاريخ صحيح ووقع بالفعل ، اليس هناك احتمال ان يكون حدث تزوير في هذه الاحداث او على الاقل هناك تشوية لتلك الاحداث والاهم من ذلك لماذا نقر ان الترجمة المعتمده لدينا من قبل شامبليون وفك رموز اللغة المصرية القديمة هي ترجمة وقراءة صحيحة وكذلك اليس من الممكن ان يكون هناك من سبقه فى فك طلاسم تلك الرموز لتلك الحضارة المصرية القديمة ، ان شامبليون وجد ثلاثة نصوص بلغات مختلفة ، واعتمد على فكرة ان النصوص الثلاثة المدونة على حجر رشيد هي نص واحد ومكتوب بلغات ثلاث اليس كذلك ؟

... أومأ الكتور رياض براسه بالإيجاب ، وهو ينظر إلي سفيان مشدوها بما يقول ، وكذلك بدأ الدكتور بهجت ينتبه إلي إلي كلامه وينصت اليه ، واخذ سفيان يسترسل فيما يجول بخاطره ، مؤكدا ان من ضمن أسس التفكير السليم عدم الانسياق وراء رأى واحد خاصة اذا كان صاحبه لم يجزم بصحته فما حدث هو محاولة مقارنة نصوص مع بعضها على فرضية انهم نص واحد كتب بلغات متعدده

هنا قاطعه الدكتور بهجت بشكل حاد قائلا :

-- تللك النصوص اللى تشكك فيها اقيم عليها مئات الابحاث والدراسات وقام بها علماء

.. ليلتفت اليه سفيان بكامل جسده معقبا عليه بحماس:

-- حسنا يا دكتور هل هناك من اجزم بصحة ما توصلوا اليه ، كلا الجميع يذكر فى كتاباته ،، يعتقد ان ، ربما يكون كذا ، قد يكون فلان فعل كذا ، يا دكتور كلها افتراضات ، لا ترقى لليقين

... يوجه الدكتور رياض الكلام لسفيان ، وبدوره سفيان يلتفت مرة أخرى اليه:

--- يا سفيان تلك افضل الاستنتاجات اللى وصلنا ليها والا ما الحل لفك هذه الرموز وتلك الطلاسم ؟؟

.. اخذ سفيان يطرح سؤال استنكارى بانه ، هل يعقل ان يكون بناء بضخامة الاهرامات ولا يذكر شيء عن كيفية بنائها ؟

والأسلوب الذى تم به البناء ، ثم نقول نحن انه سر ، ونبحث عن ذلك السر ، كلا كلا ، فمن الواضح للتفكير المنطقى انه ليس سرأ لان البناء كان في العلن وشيده الاف العمال ، كل ما هناك اننا لم نستطع قراءة النصوص المكتوبه بشكل دقيق ، وكذلك سر التحنيط وغيره من الاسرار التي نرددها ليل نهار ، لاتوجد اسرار بل يوجد عدم قراءة صحيحة لتلك الرموز ..

وانا سأخبركم بأمر ربما اتهمتونى بالجنون ان اعلمتم اياه

نظر كلا من الدكتور رياض والدكتور بهجت لبعضهما البعض باستغراب ثم اشار الدكتور رياض بيده لسفيان ان تكلم:

... اخرج سفيان من حقيبته كتاب ممزق ومهترىء من تلك الكتب التى كان قد وجدها لدى جارتهم حين اعطته الكتب التى كانت تنوى التخلص منها ، بعنوان " شوق المستهام فى معرفة اقلام " واعطاه للدكتور رياض قائلا

انظر إلي هذا الكتاب يا دكتور رياض ،، أخذ الدكتور رياض الكتاب من يد سفيان وهو يسأله:

ما هذا يا سفيان ، ليجيبه سفيان بان هذا كتاب الفه احد العلماء العرب فى بغداد يسمى " ابن وحشية النبطى "به اكثر من تسعة وثمانين لغة عن عن اقوام وحضارات بائدة من امثلة الفينقيين والكلدانين والسومارريين وكثيرا من شعوب وحضارات الشرق الاوسط ومن ضمن تلك اللغات التى بها ترجمة إلي اللغة العربية اللغة المصرية القديمة وهذا المرجع هو ما استند اليه شامبليون فى ترجمته ثم نسب الفضل لنفسه فى ترجمة طلاسم اللغة المصرية القديمة والمخطوطة الاصلية من هذا الكتاب توجد باحد المتاحف فى المانيا

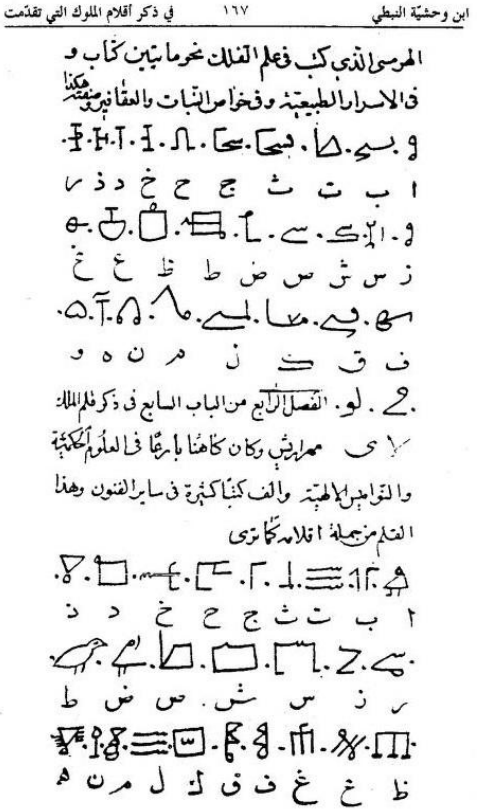

أخذ الدكتور رياض يقلب فى الكتاب وينظر إلي الدكتور بهجت الدى التقت منه الكتاب وامعن النظر فيه ثم قال للدكتور رياض نعم لقد اثير هذا الكلام من قبل البعض ولكن لم يهتم به احد ، هنا نظر اليه الدكتور رياض منفعلا ولما لا يتم الاهتمام والبحث فى هذا الامر اظن هكذا سفيان محق فى شكوكه،

وان ثبت بالفعل هدا يكون تم خداعنا طيلة تلك السنوات والفضل فى ترجمة تلك اللغة يعود فى الاصل الينا ..

... إلي هنا واخذ الدكتور رياض فى الاستعدادا للقيام ، مخبرا سفيان بان لديه محاضرة ومقترحا عليه ان يجلسا مرة أخرى ويتناقشا في الامر بشكل مستفيض ، وبالفعل ينصرف الدكتور رياض وخلفه سفيان ، ليذهب الدكتور رياض إلي محاضرته بينما يهبط سفيان سلم الكلية ليصل إلي فناء الجامعة فيجد زملاؤه جالسين على سلم الكليه ، وما ان رأوه حتى نادوا عليه ، لينضم اليهم ، وبخطوات سريعة يتجه نحوهم ويسلم عليهم وهو في حالة من النشوة والفرح ، ويسألوه اين كان ، فيخبرهم بما دار بينه وبين الدكتور رياض ، ويتصل بصديقه مروان ليخبره بما حدث بينه والدكتور رياض ، ويلومه مروان لتسرعه بالدخول وعدم انتظاره ، ليعتذر له سفيان بان الامر اتى دون ترتيب ، ويطالبه مروان بعدم الانصراف من الجامعة حتى يعود اليه بعد ان يطمئن على سلامة الوصول لابيه ، وبعد قرابة الساعتين عاد مروان إلي الجامعة ، واعتذر له سفيان مرة اخرى على تسرعه لمقابلة الدكتور رياض بمفرده ، ثم استاذن سفيان من صديقه لينصرف إلي بيته ، فهو يشعر بالارهاق وبعض التعب ، ويطلب منه مروان ان ينتظر قليلا حتى يذهبا إلي اخته سمية التى تدرس بالفرقة الاولى بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ليطئن عليها ثم يخرج هو وصديقه من الجامعة ويدهب كلا الى بيته ، وبنظرة ممتعضة من سفيان يقبل بالذهاب معه

... يذهب مروان بصحبة سفيان إلي اخته سمية التي يجداها في مدخل الكلية بصحبة زملاؤها وما ان راها سفيان حتى لفتت انتباهه فهى شابة ممشوقة القوام و العينان عسلية مع بشرة بيضاء وشعر ناعم و طلة نديه ، شعر سفيان وكانها القمر في تمامه وتسمرت عيناه ووقر في قلبه نحوها شيء ، فهو دوما يسمع من مروان ان اخته تدرس بالجامعة ولكنه لم يرها مطلقا وحين رأها شعر وكان الشمس اشرقت امامه ، وعرفها مروان على صديقه سفيان ، وسالها مروان ان كانت تستطيع الخروج معه للذهاب إلي البيت الان ، فاعتذرت له بعدم استطاعتها الخروج معه فلديها محاضرات هامة ، ثم تركاها وانصرفا متوجهين نحو باب الجامعة وخرجا منها ، واثناء سيرهما يشرح سفيان لمروان بالتفصيل مادار بينه وبين الدكتور رياض وكيف ان كلامه اثار شغف الدكتور رياض ، وذكره حين ذكر له حين قال له ان لديه سؤال عميق ، وكيف ان مروان سخر منه رغم ان سؤاله كان جدير بالاحترام ، ووصلا إلي سيارة مروان خارج الجامعة وهما يتبادلان الحديث ، وعرض مروان على سفيان ان يوصله إلي البيت ولكن سفيان رفض ، وطلب منه ان يسلم له على ابيه ، وبهنئة يسلامة الوصول وانصرف كلا إلي حال سبيله...

****

ظهور الاخطبوط

... هذا يوم الجمعة وعلى غير عادته بقى سفيان في السرير إلي ان حانت صلاة الجمعة ، فذهب للمسجد وعاد بعدها يتناول افطاره ثم قضى بقية يومه يراجع محاضرات الاسبوع وبين فترة واخرى يتابع التلفزيون ما بين برامج سياسية واخرى اخباريه . ثم، يرن جرس الهاتف ، واذا به صديقه مروان ، يطلب منه ان ياتى اليه ليجلسا سويا ويقضيا بقية اليوم مع بعضهما ، وكذلك ليرى ابيه ويتعرف عليه ، و بالفعل يوافق سفيان ويرتدى ملابس للخروج ، ويتوجه نحو بيت صديقة القاطن ، بمنطقة التجمع الخامس بالقاهرة ، وبعد ان استقل سيارة اجرة للوصول للتجمع الخامس ذلك الحى الراقى ، يصل سفيان إلي الفيلا الخاصة بصديقه ليقف امام بوابتها الحديدية الضخمة والتي تدل على مدى رفاهية ساكنيها ، يجد فرد الامن المكلف بحراسة بوابة الفيلا فى كشك اشبه بتلك الاكشاك التى توجد امام السفارات ، ويخبره سفيان بانه اتى لزيارة

صديقة مروان ، ويتصل فرد الامن بتليفون داخلى بينه وبين الفيلا بالداخل مخبرا مروان ان صديق له يدعى سفيان بالخارج ، وما هي الا دقائق معدودة ويخرج اليه مروان مستقبلا إياه بالاحضان و مرحبا و يدعوه إلي الدخول ، يدخل سفيان إلي فيلا صديقه والتي تنم عن مستوى فاحش من الثراء ، فهى تتكون من طابقين بخلاف الدور الارضى ، وامامها حديقة كبيرة بها حمام سباحة ، على

جانبيه مقاعد وثيره ، ومنها ما هو اقرب للاريكة من اجل الاستراخاء اثناء مشاهدة حمام السباحة ، بالفعل مستوى يدل على ان قاطنها او مالكها لا يقل عن شخصية مرموقه كرجل اعمال او شخصية كبيرة المقام ، يصطحب سفيان صديقه إلي داخل الفيلا حيث الاستقبال الفسيح بالطابق الارضى ، والذى يشعرك بانك في قصر وليس فقط فيلا حيث ارضية ساحة الاستقبال من الرخام الابيض يكسوها بعض المفارش من السجاد الحريرى الفاخر وانتريه من الجلد الطبيعى الفاخر ، وحوائط مزينة بالعديد من التابلوهات والرسومات ، مع اعمدة مكسوة كذلك برخام اخضر هندى ، وسقف يتدلى منه ثرية ضخمة من النحاس والمحلاه بالكريستال ، يتوسط ذلك الاستقبال سلم حلزونى من الرخام الاسود بدرابزين حديدى يقودك إلي الطابق الاعلى ، يجلس سفيان مع مراوان على الانتريه و يطلب من الخادم بالفيلا احضار عصير ليمون ترحيبا بصديقه ، وما هي الا لحظات حتى وكانت هناك وقع اقدام تهبط درج السلم المؤدى إلي الطابق العلوى ، ليظهر رجلا مهاب الطلعة ، يرتدى بدلة سوداء ، طويل القامة ، ذو بشرة بيضاء ، ضخم البنية ، وراس صلعاء ، وفي يده سيجار من النوع الكوبى الفخيم ، وما ان شعر مروان بتلك الخطوات على السلم حتى

اخبر سفيان بان اباه هو المتدلى على السلم ، وهو خارج إلي مكتبه ولن يجلس معهم طويلا ، وما ان انهى مروان كلامه لصديقه حتى كان سرحان بيه الطرابلسى والد سفيان يلقى عليهم السلام ، فينهض كلا من مروان وسفيان

واقفين ليسلما عليه ، ويسارع مروان بان يعرف اباه على سفيان ، مخبرا إياه بانه اعز أصدقائه ويعتبره كاخ له ، ويقوم الاب بمصافحة سفيان مرحبا به ، ويطالبهم بالجلوس وينضم اليهم وهو يرحب بسفيان ، واخذ مروان يمدح في صديقه امام ابيه ، جلس الرجل مستندا

بظهره إلي مقعد الانتريه الفخم الذى يتوسط بهو الاستقبال ويضع قدم على الاخرى ، وهو يمسك باسنانه على السيجار وبين الحين والأخر يشد من دخانه وينفثه ممزوجا بثقة فى نفسه ومكانته فهو رجلا كالاخطبوط جسدا واحد واذرع متعدده منها الباطشة ومنها النافذة ، واخذ يهز راسه وهو يبتسم من تندر مروان على صديقه واستمر مروان يحكى لابيه مادار بين سفيان والدكتور رياض وكيف ناقش الدكتور رياض في خطأ الاعتماد على بعض المصادر التاريخيه والتسليم بها بشكل مطلق ، وان هناك مؤلفات عربية سبقت شامبليون إلي فك رموز اللغة المصرية القديمة وان هناك سبل أخرى في التفكير والبحث ينبغي الاعتماد عليها للوصول للحقائق سواء كانت تلك الحقائق متعلقة بالفهم الجيد لاحداث التاريخ او حتى البحث الجيد عن الاثار والكنوز القديمة ، وعند هذه النقطه بدأت تظهر على الاخطبوط مظاهر الاهتمام والجديه والانصات ، واعتدل في جلسته ووجه حديثه إلي سفيان ، مستفسرا :

-- ماذا تقصد يا سفيان بالطرق الأخرى في التفكير والبحث عن الكنوز .

... يصاب سفيان بشيء من الارتباك ويشعر وكانه في امتحان ، فالرجل تبدوا عليه مظاهر الهيبه وتلك اول مره يقابله ، فبدأ يجيب بشيء من الاجابات العشوائية

-- ليس لدى شيء محدد يا فندم ولكن بشكل عام ينبغى الخروج عن تلك الطرق التقليدية التى اعتدنا عليها عشرات السنين ، فان توصلنا لاساليب جديدة يقينا سنصل إلي نتائج جديدة بل سنفهم الكثير من الاسرار الخفية علينا خاصة اننى عثرت على احد الكتب القديمة التى لم ينتبه اليها احد و بهذ الكتاب الترجمة الاصلية للغة المصرية القديمة والتى اعتمد عليها شامبليون ذاته فى فك طلاسم تلك اللغة وهذا الكتاب توصل إلي فك رموز اللغة المصرية القديمة وهذا كان قبل شامبليون بمئات السنين وهو ما اعتمد عليه فى ترجمته .

... نظر الطرابلسى إلي سفيان وابتسم وشعر بارتباكه . وحاول ان يخفف عنه قائلا:

-- اسمع يا سفيان ، انا سأذهب الان إلي المكتب ولكن ان شاء الله لنا مقابلة أخرى نتكلم بشكل موسع

اتفقنا ؟؟

-- يشرفنى يا فندم ان أتكلم مع حضرتك

... ينظر الطرابلسى إلي ولده مروان سائلا اياه عن اخته سمية ، فهو لم يرها منذ الامس ، ويخبره مروان بانها في غرفتها تقرأ وتذاكر دروسها .

-- حسنا ساصعد لاراها .

... يتركهما الطرابسى ويصعد إلي غرفة سمية ابنته فلا يجدها ، ينادى على الخادم ويساله عنها فيخره با نها خرجت للتوا إلي الحديقة ، فيخرج الطرابلسى إلي الحديقة ليجد سمية جالسة ، امام حمام السباحة وبيدها كتاب تقرأه ، فيسلم عليها بترحاب كبير ويحتضنها ويسالها عن اخبارها واحوالها ويأتى بكرسى ويجلس إلي جوارها ، وياخذ فى الاطمئنان عليها والسؤال عن اخبارها وتوجه له سمية العتاب بانه كثير السفر وحتى حين يكون فى مصر يغيب فى العمل لوقت متاخر ،

... لم تستمر جلسة سفيان ومروان طويلا ، حتى استأذن سفيان من صديقة للعودة إلي بيته ، وفى طريق خروجهم من الفيلا وجدا الطرابلسى وابنته جالسان فى الحديقة امام حمام السباحة ، فنادي الطرابلسى على سفيان ومروان داعيا إياهما للانضمام اليهما .

لم يبدى سفيان اى مقاومة في الاستجابة ، حيث راها فرصة لتبادل الحديث مع سمية وتوثيق العلاقة بينهما ، وحاول الطرابلسى ان يعيد بشكل غير مباشر امر البحث والتنقيب عن الاثار وما يراه سفيان في هذا الشان ، واخذ سفيان يسترسل في الحديث بشكل اكثر ثقة تلك المرة وان الكتاب الذى معه يحوى ترجمة صحيحة للغة الهيروغليفى إلي اللغة العربية وأخذ يشكك في كثير من الروايات التاريخية من جهة وان لديه من المعلومات والكتب السابقة ما يجعل البحث والتنقيب يقوم على اسس سليمة وحيث يملك من التراجم القديمة الاصلية

التى اعتمد عليها شامبليون فى ترجمة نصوص حجر رشيد ، ويرى ان يتم التفكير والنظر للتاريخ بطريقة جديد من جهة أخرى ، و يحاول بين لحظة وأخرى اثناء حديثه ان يختلس النظر إلي سمية ، التي بقيت تتابع الحوار بين ابيها وسفيان ، وكذلك تعليقات اخيها التي تتسم بالسخرية بين الحين والأخر ، واخذت الرهبة تزول شيئا فشيئا عن سفيان ، وبدأ يوجه الحديث تارة نحو للطرابلسى وتارة نحو سمية ، والتى أخذت تستغرب من حديثه وكمية المعلومات وترى فيه شاب مثقف وواعى ومطلع و بدات تشعر نحوه بشيء من الاهتمام ، واخذت تبادله الحديث قائلة:

-- انا احب قراءة التاريخ وارى انه من اهم مصادر الثقافة ، فالتاريخ والشعر بالنسبة لى مصادر أساسية للمعرفة ، ولكن بناء على كلامك يا سفيان أظن ان التاريخ بحاجة إلي إعادة تقييم !!

-- نعم هو كذلك فما الذى يدعونا ان نسلم بأخبار ومعلومات ولن اقول حقائق نحن فى شك منها ، نعم هناك الكثير من المعلومات تحتاج اعادة البحث والتدقيق ، فنحن مثلا ندرس الحضارة المصرية القديمة ، فهل يعقل ان اثر مثل تمثال أبو الهول والمنطقة المحيطة بيه تكون خالية من اى اثار ودفائن وربما كنوز لا تعد ولا تحصى ، في حين نجد الاثار في مناطق نائية في الصحارى والجبال وقرى واسفل المنازل ، العقل والمنطق يحتم بان تلك المنطقة وحولها واسفلها مليئة بالكنوز ...

... الطرابلسى ينظر إلي سفيان بكامل حواسه وينتبه لكل كلمة ويعقب على اى جزئية يشعر انها مبهمة عليه او يرى انها جديرة بالتفصيل ثم سئل سفيان :

- ولما لم تقم الذولة يا سفيان والمعنيين بالامر بهذا التنقيب والبحث ان كان الامر يقينا هناك شيء ، و طالما المنطق يحتم وجود كنوز فيها ؟؟

-- نعم يا فندم كان يفترض هذا ، قد سالت بعض الدكاترة لدينا بالجامعة نفس هذا السؤال ، واخبرونى بانه حدثت محاولات تنقيب ولكن على اعماق بسيطة ، ولكن امرا كهذا يحتاج إلي تنقيب عميق ، نحن نتحدث عن حضارة مدفونة من الاف السنين ، ان شاء الله انوى عمل بحث واجمع بيانات كاملة واضع رؤيتى لذلك الامر ، وانا على يقين اننا سنجد اكتشاف عظيم في ذلك المكان .

... تنظر اليه سمية باعجاب بادى في عينيها ، ويقرأ سفيان تلك النظرة . وتبادره بالقول:

-هل انت مثقف فى التاريخ فقط يا سفيان ام لك أهتمامات اخرى ؟؟

.. يبدى سفيان اعتراضه على كلمة مثقف معتبرا اياها بانها ليست دوما ذات معنى ايجابى ، فالقراة فى المطلق يمكنها ان تنطوى على سلبيات ان لم تكن على قدر من نقد ما تقرأ بل يمكن ان يتشرب الانسان افكارا خاطئة ان لم تكن القراءة بها وعى ونقد ، وهذا ما وقعنا فيه حين سلمنا بمعلومات تاريخيه والشك يحيط بها فى الواقع ، وسمية تستمع له وهى مبهورة بلباقته واسلوبه فى الحديث.

... يهب الطرابلسى واقفا منهيا الجلسة ومتوجها إلي مكتبه ويسير بجواره ولده مروان وسفيان مرافقان إياه إلي باب الفيلا حيث ينتظره السائق بسيارة مرسيدس سوداء ، تكسوا نوافذها الستائر ، ويخبر الطرابلسى سفيان بسعادته للحديث معه ويسلم عليه ، ويركب سيارته ويجلس في المقعد الخلفى مشيرا إلي سائق السيارة بالتحرك نحو المكتب ، ينظر مروان إلي صديقه سفيان ويساله عن انطباعه عن ابيه ، فيثنى سفيان عليه وعلى مهابته ، وثقافته ويبدى تعجبه من انتباه ابيه حين عرف بما يدور في راسه من أفكار خاصة حول الاثار ، ثم يبدأ سفيان في الاحتيال للحديث حول سمية ومحاولة ايجاد طريقة يتواصل بها معها ، فيسأل مروان بشكل تهكمى :

-- لما يا مروان لم تكن كاختك محبا للقراءة والثقافة ؟!

-- كلا ، تعجبنى حياتى هكذا ، انا لا اميل لكثرة الاطلاع التي تروق لكم.

... حاول ان يراوغ بطريقة أخرى للاقتراب من سمية :

-- اتدرى يا مروان انه من كثرة محبتى للشعر والثقافة بانى اكتب الان خواطر واشعار ولكنى لا ادرى مدى جودتها .

-- اعطنى إياهم وانا اجعل سمية تطلع عليهم وتعطيك فيهم القول الفصل .

... هنا شعر سفيان انه وجد ضالته ، ونجح في مراده ، وهو إيجاد طريقة يتواصل بها مع سمية .

... ثم أستأذن سفيان من صديقة ليعود إلي بيته على ان يراه لاحقا في في الجامعة . وعاد سفيان للبيت مع حلول المساء تملؤه الفرحة والسعاده ، واصطدم بامه كالعاده والتي وبخته على غيبته طول اليوم لدى صديقه ، وقص عليها ما دار في منزل صديقة وعن اخته سمية ، واشفقت عليه امه ان يصطدم بواقع اليم ، وذكرته بفارق المستوى الشاسع بينهم وانه ان كان يدور بخلده الارتباط بها فان اباها لن يرضى ، ليخرج سفيان من حالة السعادة التي انتابته منذ كان لدى صديقه ، وبدأ يقتنع بكلام امه ، وتولد داخله صراعا بين واقعه المادى الذى يمنع هذا التقارب وبين قلبه الذى يميل نحوها ، ودخل غرفته واستسلم للنوم وهو على تلك الحالة المضطربه ، ثم تذكر فجأة تلك الاشعار والخواطر التي اخبر بها مروان فهو ليس لديه في الواقع تلك الاشعار ولم يكتب شيء ، فنهض واحضر اجندة وقلم وحاول ان يكتب اى شيء ولكن كلها كانت كتابات ركيكة حيث حالته النفسية لم تسمح له بأكثر من ذلك ، فعاد للنوم مرة أخرى

****

رحلة الجامعة

-- بداية الأسبوع الدراسى دوما ما تكون الجامعة مزدحمة ، حيث يعد يوم الاحد هو ذروة الزخم من حضور الطلبة ، ووسط الحشود المتدفقة إلي الجامعة يلمح مروان صديقه سفيان وهو يدخل امامه من الباب الرئيسى للجامعة ، فينادى عليه باعلى صوته ، ليلتفت اليه سفيان مشير له بيديه مرحبا ، وينتظره بعيد عن الزحام المحيط حول باب الجامعة ، ويلتقيا بعناق اعتادا عليه كلما فصلت بينهم الاجازة الأسبوعية ، ويبادر مروان بسؤال سفيان ،

-- هل تعلم عن امر الرحلة التي ستنظمها الكلية ؟

-- اى رحلة ؟؟

-- رحلة لمنطقة الاهرام

-- اهرامات !! رحلة الاهرامات كنا نذهب اليها ونحن أطفال !!

-- انتظر يا سفيان ، تلك رحلة علمية وليست كما تظن ، وسيشرف عليها الدكتور رياض والدكتورة فرخنده .

-- حسنا يا مروان فالنسأل عن تفاصيل تلك الرحلة بعد انتهاء محاضرة الدكتور رياض .

...وبخطوات متسارعة يتقدم سفيان ومروان نحو مبنى الكلية مخترقين تجمعات الطلبة امامهم ليصعدا إلي قاعة المحاضرات كى يسبقا الدكتور رياض

والذى لا يقبل ان يدخل احد بعده لحضور المحاضرة ، وما ان حضر الدكتور رياض بطريقته وهيئته المعتاده من خطوات رشيقة وبدله انيقة حتى اعلن للطلبه عن اعتزام القسم القيام برحلة علمية إلي منطقة اهرامات الجيزة على ان يكون للطلبة حرية الاختيار فى الذهاب من عدمه ، ومن اراد الاشتراك فى الرحلة فعليه ان يسدد رسوم الاشتراك ويسجل اسمه لدى السكرتير الخاص برئاسة القسم ثم يشرع الدكتور رياض فى الدخول بموضوع المحاضرة

****

.. بعد انتهاء المحاضرة وانصراف الدكتور رياض يتناقش الطلبة فيما بينهم عمن سيذهب إلي الرحلة ومن سيتخلف ويبدى اغلب الزملاء موافقتهم للذهاب معللين الامر انه بجوار الجانب العلمى للزيارة ستكون بمثابة رحلة ترفيهية ايضا ، وينظر مروان إلي صديقه سفيان مستفسرا عن رايه فى هذه الرحله ليجيب سفيان بانه لم يقرر بعد ، ويرد عليه مروان بانه عليه ان ياتى فكل الزملاء سيحضروا وسيكون من الافضل حضوره معهم ويلح عليه للاشتراك بتلك الرحلة ، وبالفعل مع كثرة الالحاح عليه من مروان و زملاؤه يستجيب لهم ويوافق على الدهاب ويخبرهم انه سيأتى إلي الرحله اكراما لهم فقط ، ليعم الضحك الجميع ويوافقونه على ما يقول فى مقابل ان ياتى ، ويتفقوا على القيام إلي

السكرتارية الخاصة برئاسة القسم لدفع الاشتراك ومعرفة موعد تلك الرحلة ، وبالفعل يذهبوا إلي الاستاذ " عاصم " سكرتير القسم ويسالوه عن رسوم الاشتراك بالرحله ، فيخبرهم ان على من يريد الاشتراك تسديد مبلغ مائتى جنيه مع صورة كارنيه الكلية والرحلة ستكون يوم السبت القادم على ان يتحرك الاتوبيس من امام الجامعة فى التاسعة صباحا و هناك من الطلبه من دفع رسوم الاشتراك واتم تسجيل اسمه وهناك من اجل الاشتراك حتى يحضر المبلغ وقام مروان بتسديد اشتراكه وسال سفيان ان كان معه المبلغ ام سيؤجل ليوم اخر فيخبره سفيان ان ما معه نصف المبلغ فقط ، فيقوم مروان باعطائه المتبقى ويسدد سفيان كذلك رسوم الاشتراك ويتمما اجراءات الاشتراك بالرحلة...

****

السـر هنا

يوم السبت صباحا ، يقف اتوبيس شركة مصر للسياحة والذى استأجره القسم بالكلية للقيام بالرحله ، امام البوابة الرئيسية لجامعة القاهرة ، فاليوم عطلة رسمية من الجامعة وليس ثمة مشكله فى وقوفه امام البوابة الرئيسية حيث لايوجد زحام والتى فى العادة يصعب وقوف المركبات امامها فى الايام العادية بهذا الشكل نظرا لزحام المارة والطلبة فضلا عن المركبات ، واليوم لا يكاد يوجد طلبة من الاصل باستثناء من سيقومون بتلك الرحلة يبدأ الطلبة فى التوافد عند بوابة الجامعة ويحضر مروان بسيارته ثم ينضم إلي زملاؤه ممن حضر ويسأل عن سفيان ليخبروه انه لم ياتى بعد يتصل مروان عليه ليخبره سفيان بانه فى الطريق وعلى وشك الوصول وبالفعل بعد دقائق معدوده يحضر سفيان ويسلم على اصدقائه وكذلك يحضر الدكتور رياض وكذلك الدكتورة فرخنده ويبدأ الدكتور رياض بالصياح فيهم ان اصعدوا إلي الاتوبيس فالساعة اصبحت التاسعة تماما تدافع الطلبه خلف بعضهم صعودا إلي داخل الاتوبيس وذهب سفيان إلي اخر الاتوبيس والقى نفسه مسترخيا بعيدا عن الضوضاء التى تملاء الاتوبيس .

...تحرك الاتوبيس السياحى الذى يقل طلبة الفرقة الرابعة من امام جامعة القاهرة مخترقا شوارع القاهرة في طريقه إلي منطقة اهرامات الجيزة وهى مسافة ليست بالبعيده ، داخل الاتوبيس واثناء الطريق على عادة اى رحلة لطلاب في

الجامعة ، غناء وضجيج واصوات من هنا وهناك ، السائق مغرم بصوت فيروز وجعل صوتها يملاء جنبات الاتوبيس وصخب وضحك وهذا يسر لهذا بكلمة وهذا يشير إلي ذالك باشارة لا يفهمها سواهما والبعض يتمايل على البعض ضاحكا لنكتة قيلت او موقف طريف ذكره احدهم ، والبعض يهتز طربا مع صوت فيروز وهو يتمتم بكلمات الاغنية والاصوات عالية ومتداخلة ، يقوم مروان ومجموعة من زملاؤه بالذهاب إلي اخر الاتوبيس حيث يجلس سفيان ويطلبوا منه الانضمام اليهم فى المقاعد الامامية، فيخبرهم انه لم ينم بشكل جيد ويريد ان يسترخى قليلا فيوافقوه ويتركوه ويعودوا هم لضجيجهم وبعد قرابة نصف الساعة وصل الاتوبيس إلي المكان المخصص للحافلات السياحية التي تاتى لزيارة المكان وسفيان جالس في اخر الاتوبيس منفردا بنفسه بعيدا عن ضجيج زملاؤه ومنتظراً فتح الباب لينزل ، يقف الطلبة في وسط الاتوبيس بين المقاعد ويتزاحموا للنزول ، ويفتح السائق باب التوبيس ، ومن ثم يبدأوا في التقاطر خلف بعضهم البعض ، ويتدلون واحد وراء الاخر ، حتى خلا الاتوبيس و لم يتبقى سوى سفيان فقام على مهل واخذ شنطته مردفا أيها خلف ظهره وينزل من الاتوبيس والذى اصبح حوله الطلبة من كل جانب ، يتلفتون حولهم لاستكشاف المنظر ما بين مأخوذ بهذا الخلاء الفسيح ، وما بين من يعبر لصديقة عن روعة المكان والبعض منهم يلملم اغرضه التى انزلها توا من الاتوبيس مع

وجود بعض السائحين من جنسيات متعدده تخترق تجمعهم وينتبهوا على صياح الدكتور رياض فيهم .

-- هيا يا شباب " نقترب من بعضنا البعض حتى لا نفقد احد سأتحرك انا والدكتورة فرخنده في المقدمة ويتبعنا الجميع " وتسير الدكتورة فرخندة إلي جوار الدكتور رياض فى صمت تجنبا لاى ناوشات او احتكاك معه فهم ليسوا على وفاق فى الافكار بل وفى الروح ..

... يأخذ الشباب في التقارب من بعضهم البعض ما بين اثنين متاشبكى الايدى والبعض يضع زراعه على كتف زميله ، والبعض يتبع الجمع منفردا ، وسفيان لازال يتلفت حوله مشدوها بالمنظر والخلاء وتلك الاهرامات الشاهقة الارتفاع و الضاربة العمق في التاريخ مع وجود ذلك تمثال ابو الهول الضخم الذى يقف كالحارس امامهم ، اما سفيان الدى نزل من الاتوبيس فى بطء فقد انتبه نزبة سرحانه على ان المجموعة قد فارقته ، ويبدا فى التلفت حوله ليرى بعض زملاؤه على مرمى البصر فيهم مسرعا نحوهم ، ويجد الدكتور رياض يقف بهم امام الهرم الاكبر ويشرح لهم معلومات وقصص وحكايات فينضم إلي زملاؤه مستمعا وهو صامت وبعد ان انهى الدكتور رياض كلامه اخبرهم بانهم فى حل من امرهم ويمكنهم التجوال فى المنطقة كيفما ثم يلتقوا بعد ساعة من الان ، ليدخلوا داخل الهرم ويتجولوا بالداخل حين يجتمعوا بعد تلك الساعة ، ويبدا الطلبة فى التفرق فى المكان ، وينادى عامر على زملاؤه ان يذهبوا إلي المقهى

السياحى الموجود بجوار مشروع الصوت والضوء التابع لمنطقة الاهرام السياحيه ، ويتركهم سفيان ويذهب نحو تمثال أبو الهول الضخم ليقف سفيان امامه يتامله في الصمت ويقترب منه مروان سائلا إياه ،،

-- ما هذا يا سفيان ، استبقى شاردا هكذا كثيرا ؟؟

--يلتقت سفيان إلي مروان بهدوء ثم يعاود النظر إلي الخلاء الفسيح الذى امامه وهو يشير إلي المنطقة بسبابته .

-- اتدرى يا مروان ، اظن ان حل اللغز يكمن في هذا المكان .

--ما هذا الكلام الذى تقوله يا سفيان عن اى لغز تتحدث ، انا لا افهم شيء مما تقول ؟؟

-- استمع إلي يا مروان ، اترى ذلك التمثال الضخم الذى امامك والمشيد على هيئة مزذوجه ، فالراس راس انسان ترمز للفكر والعقل ، والجسد على هيئة جسد اسد ترمز للقوة والشراسة ، اليس كذلك ؟

... مروان يجيب وهو ممتعض كمن يستمع رغما عنه

-- نعم يا سفيان اراه جيدا انه ابو الهول ما الجديد ؟؟

-- أتظن ان من وصلوا لطريقة التفكير هده من الاف السنين من حيث الرمزية ، والتفكير الفلسفى العميق الذى جمع القوة و الشراسة مع العقل والحكمة في كائن واحد ايعقل ان مثل هؤلاء يتركوا المكان حوله او اسفله بلا اى

ادلة وشواهد تدل على شيء من تلك الحضارة وهذا الكائن الخرافى ناهيك ان لم يكن دفن حوله او اسفله كنوز ؟

-- يجيب سفيان وقد بلغ الامتعاض منه مداه " يا سفيان انجز واخبرنى ما الذى تريد قوله ؟؟

-- ما اريد قوله ان المنطق والتفكير السليم ، يجزم ان في اسفل هذا التمثال او في الجوار منه شيء ما خفى قد يحل لغز هذه الحضارة ' لانهم وضعوه كحارس امام اعظم انجازاتهم ، ولذلك ينبغي عقلا ومنطقا ان لا يتركوه ذدون وجود شواهد واثار عظيمة مرافقه له .

-- سفيان هل من الممكن ان نذهب لنرى بقة أصدقائنا ، وتؤجل كلامك هذا الان ، او تتناقش فيه مع الدكتور رياض او دكتورة فرخنده في الجامعة ، امام الان دعنا نمرح مع اصداقائنا .

... ينظر سفيان اليه بامتعاض ، ويشير اليه بيده ان تقدم لنذهب كما تريد ، وينضموا إلي بقية الزملاء على المقهى السياحى ' وسط صخب اصدقائهم والمزاح، من هذا وذاك .

****

سعى بلا فائدة

ومع عودة سفيان للجامعة في بداية الأسبوع ، بدأ يذهب إلي مكتبة الجامعة ليعد بحثا مستفيضا عن الاثار المحتملة بمنطقة الاهرام واسفل تمثال ابوالهول ، وكذلك أخذ في البحث على على شبكة الانترنت ، وعقد نقاشات كثيرة مع دكاترة في كلية الاثار واطلع على رايهم بالمقترح ، وانه سوف يستعين بترجمة الكتاب الذى فى حوزته والذى فى الغالب والمنطقى اعتمد عليه شامبليون فى ترجمته للغة الهيلوغرافية لان هذا الكتاب هو الاصل وقد يكون به من الجديد الدى كان على شامبليون الانتباه اليه حيث ان لغة الكتاب الاصلية هى اللغة العربية ومن الوارد جدا ان الترجمة إلي الفرنسية لم تكن ملمة بما يحويه الكتاب وذهب أيضا الى دكاترة التاريخ بالقسم لديه ، وبدأ في جمع تصور لما يمكن ان يؤدى إلي فتح افاق جديده والمتمثل في حفر وتنقيب المنطقة حول تمثال أبو الهول واسفله ، وأصبحت لديه مادة علمية وبيانات عن مساحة المكان طولا وعرضا وطبيعة التربة ومستوى المياه الجوفية وطبيعة الصخر وحتى معدل تراكم الرمال سنويا ، إلي اخر كافة المعلومات المطلوبه وتخيله لطريقة البحث ، وعرضها على الدكتورة فرخنده والدكتور رياض اللذين رأوا فيها مادة علمية قيمة وفكرة رائده ، ولكن الامر يستدعى موافقة الجهات المعنية من الدولة للموافقة للقيام بأمر كهذا وعلى

رأسهم المجلس القومى للاثار ليعطيه موافقة على تشكيل فريق بحث وتنقيب وامداده بما يلزم من أدوات ومعدات لتطبيق بحثه وفكرته

... سعى سفيان لدى الجهات المعنية لكى يحصل على موافقة بالتنقيب والحفر حسب رؤيته ، وعرض بحثه وما توصل اليه على كل من راه من السؤلين ، ولكن لم يجد استجابه فمن وزارة الاثار التي اخبرته انها لديها من يقوم بالتنقيب سواء من المصريين او البعثات الأجنبية حسب ما يروا وفق رؤيتهم هم ، حتى النسخة الاصلية من مخطوطة كتاب " شوق المستهام فى معرفة رموز الاقلام " الدى اكتشفه بالصدفة بعد بحث طويل توصل إلي ان النسخة الاصلية منه وعلم انها موجودة لدى احد المتاحف فى المانيا ، وكذلك اصطدم بانه مطالب بموافقات من جهات عدة كوزارة السياحة التي رأت في مشروعه توقف للاستثمارات التي تاتى عن طريق زيارات الوفود والسائحين للمكان وغيرها من العراقيل، فاصابه الإحباط وعدل عن فكرته ولم يعد اليها .

****

شوق المستهام

...لم يعد متبقى على امتحان نهاية العام سوى ثلاثة أيام والجميع انقطع عن الذهاب إلي الجامعة واكتفى بالمذاكرة في المنزل وسفيان يقضى ليله من بعد العشاء إلي الفجر في الاستذكار والمراجعة ثم ينام صباحا ليصحو متاخرا .

يقوم سفيان من نومه بعد الظهر ويشعر بالجوع ، ليطلب من امه ان تحضر له طعام فتطالبه بالصبر قليلا وياكلا سويا طعام الغذاء وتطالبه امه وتحثه ان يجتهد في التحصيل الدراسى حيث لم يتبقى سوى أيام قلائل وتبدأ امتحانات نهاية العام ، ليبدأ في البحث عن عمل بعد ذلك ويشق طريقه ، وتقترح عليه ان يسعى لدى من يعرفهم ليتوسطوا له للعمل في التدريس فهى مهنة مريحة ومربحة وان تمكن من إعطاء دروس خاصة فسيجنى المزيد من المال ، يبتسم اليها سفيان وهو يتناول طعامه ويخبرها بان لا احد يحب التاريخ ولا يرغب في اخذ دروس فيه .

وان التاريخ به الكثير من الاحداث زورت ، واناس بالباطل شوهت ، واحداث بلا داعى مُجدت

... لتهاجمه امه بشكل عنيف بان كيف سيعيش اذا لم يسعى في عمل بعد التخرج وكيف سيتزوج ، ويخبرها بانه ما ان تنتهى الامتحانات سيسعى في اى عمل متوافر وليس شرطا التدريس ، واثناء نقاشهم يرن جرس الهاتف فيقوم سفيان لاحضار الهاتف ويجده صديقه مروان ويطلب منه الحضور ليذاكرا سويا

ويمازحه سفيان بانه يخشى المجيء من وجود والده الطرابلسى فهو يشعره بانه من رجال المافيا ' ليبتسم مروان مطمئنا إياه بانه في الشركة ولن يعود الان ، ويسرع سفيان بتناول غداءه ويخبر امه بذهابه إلي صديقه مروان ، والتي تمتعض مؤنبة إياه على كثرة ذهابه اليه وانها تخشى ان يكون هو سبب فشله فيقوم مقبلا راسها ومطمئنا إياها بان مروان من اعز أصدقائه ولا يتمنيا لبعضهما سوى الخير ، ويرتدى ملابسه للخروج ويأخذ معه اجندته التى كان قد كتب فيها بعض الاشعار ليجعلها مدخلا للحديث مع سمية وأخذ طريقه للتجمع الخامس حيث فيلا صديقه ويمنى نفسه وهو بالطريق ان يتمكن من رؤية سمية ، وعزم الامر على ان يتخذ امر الثقافة والشعر مدخلا لفتح حوارا معها ، وعند وصوله يستقبله صديقه مروان كالعادة من على باب الفيلا ، ليدخلا إلي غرفة مروان ليجد غرفة تشابه غرفته من حيث الإهمال وعدم النظام ، ولكن شتان الفارق بين ماتحويه هذه وتلك نظر سفيان إلي غرفة مروان متعجبا من الإهمال الذى يعتريها وسائلا صديقه :

- لما يا مروان لا تعتنى بغرفتك وتحافظ على مظهرها ؟؟

-- لا عليك يا سفيان ، لا عليك

--اتدرى يا مروان ، لوكان قدر لى ان احيا بمستواك هذا ، لربما كنت الان بكلية الطب

--مروان ضاحكا ، أ تقصد انى فاشل ؟؟

-- يضحك أيضا سفيان ، نعم هو ذلك .

--حسنا يا سفيان ، اجلس لنذاكر ودعك من هذا

-- كلا يا مروان انتظر قليلا لاريك شيئا ، تلك بعض الخواطرالتى كتبتها اجعل سمية اختك تلقى عليهم نظرة وتخبرنى بمدى جودتهم ؟؟

-- نعم نعم ، تلك الخواطر التي اخبرتنى بها سابقا ، دعنى انظر فيها

... يضحك مروان وهو يقرأ الخواطر والاشعار ، وينظر لسفيان

-- اسمع يا سفيان ، ساجعل سمية تقرأهم ولكنى احب ان ابشرك بان مستواك سيء جدا

وانفجر ضاحكا، يا سفيان انا سأريك جزء من قصيدة كتبتها سمية وهى لاتزال طالبة فى المرحلة الثانوية وانظر مدى الجودة والاتقان

... واخذ مروان يقلب في كتبه وكراريسه إلي ان اخرج كراسة زرقاء اللون قديمة ، واراها لسفيان فقرأها بصوت خافت بينه وبين نفسه .

يا ساكن القلب هلا اخبرت طيفك الا يشاغلنـــــى

فما خلـوت بنفســـى ليـــلااو نهارا الا وراودنـــى

كـــم حـاولـت نسيـانك فمـا وجدت عزما يسـاندنى

وان كنت وحـدى او بيـــن اقرانى دوما يلازمنـــى

... وما ان قرأ سفيان تلك الابيات الا واخذ من مروان الاجنده وطالبه الا يخبر اخته بشيء مما كتبه ، فضحك مروان واخبره ان يأخذ الامر ببساطة حيث ان

اخته سمية لديها موهبة الشعر واتقان اللغة العربية ، ولكن سفيان اصر مطالبا مروان بان ينسى ذلك الامر ، وجلسا يستذكران دروسهما ، إلي ان عاد الطرابلسى من عمله وقطع عليهما جلستهم ، ودخل عليهما وسلم عليهما ثم أخذ يشجعهم على بذل الجهد لانهاء دراستهم بتفوق ، واخبره سفيان في سياق الحديث انه انهى البحث الذى سبق واخبره به ولكنه اصطدم بالعديد من الإجراءات والمعوقات فترك الامر ، وسأله الطرابلسى مرة أخرى عن مدى تاكده من احتمالية وجود شيء فى محيط الاهرامات او اسفله .

-- هل انت متاكد يا سفيان ان بهذا المكان شيء اسفله ؟؟

-- نعم نعم ، سابقا كان لدى شك ، اما بعد الدراسة والبحث الذى اجريته لدى حدس يرقى إلي اليقين ان بالمكان كنوزا ، خاصة اننى اعتمدت على الكتاب الدى استقى منه شامبليون ابحاثه وهو كتاب مطمور فى التاريخ لا ينتبه اليه احد ..

سأل الطرابلسى سفيان عن الكتاب الذى يتكلم عنه فأخبره انه كتاب الفه احد العلماء قديما بالعراق وهو عالم لغويات يدعى " ابن وحشية النبطى " والف الكتاب وسماه " شوق المستهام فى معرفة رموز الاقلام "

... نظر اليه الطرابلسى وهز راسة متعجبا ومبديا دهشته ، ثم تركهم ليكملا مذاكرتهم ..

خطة الاخطبوط

... يحضر سرحان الطرابلسى من عمله ليدخل إلي مكتبه مباشرة والموجود بجوار قاعة الاستقبال في الدور الارضى بالفيلا وعلى الفور يقوم بالاتصال بعدد من أصدقائه وهم مصطفى الصاوى والدكرورى حرب وحمزة الفقى وكلهم من رجال الاعمال وأصدقاء مقربون من الطرابلسى ويطالبهم الطرابلسى بالحضور للفيلا لامر هام ، وبعدها يذهب ليجلس على حمام السباحة مكانه المفضل مسترخيا ومنتظرهم على اريكة وثيرة ، ليقطع عليه تامله واسترخائه قدوم زوجته عليه متسائلة عن سبب جلوسه بكامل ملابسه هكذا ، فيخبرها انه منتظر بعد الاصدقاء الذين يعملون معه للاجتماع بهم لامر هام بشان العمل فترى ان هذه فرصة سانحة للاستذان منه للذهاب إلي المتجر لشراء بعض الملابس فيأذن لها بالذهاب وما تلبس ان تخرج الا ويعود هو إلي سابق وضعه المضطجع وماهى الا دقائق معدودة حتى ياتيه حارس الفيلا ليخبره ان مصطفى بيه الصاوى بالخارج ويريد الدخول ، فيخبره ان يسمح له بالدخول على الفور ويدخل مصطفى بيه الصاوى إلي داخل الفيلا وينهض اليه الطرابلسى ويأخذه إلي المكتب الموجود بجوار قاعة الاستقبال بالفيلا ، ويخبر الطرابلسى الحارس انه ما ان ياتى احد من الرجال الذين يعملون معه حتى يدخلهم مباشرة إلي غرفة المكتب ، ثم يصطحب مصطفى الصاوى إلي الداخل ، ويجلسا بغرفة المكتب ، ليبادر مصطفى

بيه بالاستفسار عن سبب المقابلة وهذا الاجتماع ، ويبتسم الطرابلسى وهو يشعل السيجار مخبرا اياه بالا يستعجل وسيعرف كل شىء حالا ، واثناء كلامهم يطرق باب غرفة المكتب رجل الاعمال الدكرورى حرب ليدخل وينضم اليهم بعد ان يرحب به الطرابلسى ويعانقه وكذلك يسلم على صديقه مصطفى بيه الصاوى ، ويدعوه الطرابلسى لاخذ مكانه على كرسى الاجتماعات بجوار مصطفى الصاوى ويخبرهم بانه لم يعد متبقى سوى حمزاوى بيه الفقى ليكتمل الاجتماع ، وكذلك يسال ايضا الدكرورى عن سبب الاجتماع ، لينظر اليه مصطفى مبتسما وهو يقول لقد " سالت نفس سؤاله حالا " ليخبرهم الطرابلسى ان الاجتماع بخصوص امر هام بل يعد امرا ان نجحوا فيه سيمثل علامة فى التاريخ ، لينظر كلا من الدكرورى ومصطفى إلي بعضهم البعض والدهشة تملؤهم ، ويتابع الطربلسى كلامه ويطالبهم بالصبر حتى يجتمعوا الاربعة ليكون الكلام بحضور الجميع ، وبالفعل وهم يتحدثون يرن هاتف الطرابلسى ، لينظر فيه ويخبرهم ان حمزاوى بيه يتصل عليه ، و يساله الطرابلسى ان كان فى الطريق ام سيتأخر ؟ فيخبره بانه فى سيارته امام الفيلا ، فيدعوه الطرابلسى للدخول سريعا ، وما هى الالحظات وينضم حمزاوى إلي الثلاثة ويجلسوا على طاولة الاجتماعات بمكتب الطرابلسى ، وينظر اليهم الطرابلسى وبهدوء ورويه يخبرهم بانه سيعرض عليهم اكبر عملية تنقيب عن الاثار فى التاريخ البشرى كله ، وان تلك العمليه كفيله بان تحولهم إلي اباطرة وتامن مستقبلهم بل مستقبل اجيال عديده من بعدهم ، لينظر

الثلاثة إلي بعضهم والدهشة تعلوهم من كلام الطرابلسى ، ويستند الطرابلسى بظهرة إلي الكرسى ويخبرهم بانهم سينقبون عن الاثار اسفل تمثال ابو الهول ، لتزداد الدهشة والاستغراب من الجميع ويبادر الدكرورى بالقول .

-- ما هذا الذى الذى تقوله يا طرابلسى ؟ تريد التنقيب اسفل تمثال أبو الهول !! ما هذا الكلام ؟؟

... ليتدخل مصطفى بيه فى الحوار قائلا

--من اخبرك بتلك الفكرة الغريبة ؟؟

... وبدوره يدلى حمزاوى بيه برايه قائلا ومستغربا .

-- من هذا الذى أوحى اليك بتلك الفكرة يا طرابلسى ، ومن اخبرك ان بهذا المكان اثار.

... لينظر الدكرورى إلي حمزاوى مهاجما ومستهجنا .

-- اكل ما يعنيك هل يوجد اثار ام لا ، انت لا يمكنك ان تقترب من هذا المكان من الأساس ، تلك منطقة سياحية والمكان تحت أعين الحكومه ليل ونهار أبو الهول يا طرابلسى ، ما هذا !!

... ينظر اليهم الطرابلسى وهو يبتسم .

-- هل انتهيتم ، ام لدى احد منكم شيء اخر ليقوله

... ليرد عليه ثلاثتهم مع بعضهم

--- كلا ، تكلم .

-- ومن قال اننا سنقترب من التمثال او نحفر بجواره ، اتظنون انى لا اعلم بان المكان مراقب على الدوام وتحت اعين الشرطة ليل نهار ، وان هده منطقة سياحية ، ولكنا مع هذا أيضا سنصل إلي التمثال وإلي المكان الذى نريده دون ان يشعر بنا احد ، لقد ناديتكم اليوم لاعطيكم فكرة عامة اما التفاصيل فدعوها الان ، ساخبركم بها لاحقا حين نتقابل عندى في الشركة .

... الدهشة تزداد لدى الجميع من كلام الطرابلسى ، فالمكان معروف للقاصى والدانى بانه مزار سياحى عالمى والشرطة وأجهزة الامن تحيط به ليل نهار والوفود السياحية دوما هناك على مدار الساعة ، وحتى ليلا هناك مشروع الصوت والضوء والذى يجعل المكان يضج بالحياة ، ومواقف للسيارات بها الحركة دائمة من سيارات تاتى بزوار للمكان وسيارت تنقل زوار انهوا زيارتهم ، الوضع هناك لا يهدا ولو بضع دقائق ، اذا كيف سيتم التنقيب بعيدا عن اعين كل هؤلاء ؟؟!!

****

العملية ضخمة وخطره

... تصل سيارة الطرابلسى إلي شركته في التاسعة صباحا لتقف امام مدخل الشركة ، ينزل السائق من السيارة و يفتح له باب السيارة ليهم بالنزول ويسارع احد افراد امن الشركة بالتقاط الحقيبة الخاصة به ويحملها ويسير خلف الطرابلسى ، وما هي الا عدة خطوات ليكون في قلب الاستقبال الخاص بمدخل الشركة ، ليجد بقية افراد الامن وقوفا في حالة انتباه كمن في تشريفة عسكرية ، ينظر اليهم فى عجالة ويلقى عليهم التحية و يأخذ طريقه نحو المصعد ليستقله وفرد الامن معه إلي مكتبه بالدور الخامس والأخير ، تقف " سارة " سكرتيرة الطرابلسى الخاصة وسارة ليست فقط سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة سرحان الطرابلسى بل تعد مخزن اسرار سرحان الطرابلسى حتى اسرارة الخاصة فهى سكرتيرته ومديرة مكتبه ، وهى فتاة في أواخر العشرينات متوسطة الطول نحيفة الجسم بيضاء البشرة ، ذات مظهر جاد ترتدى الملابس الرسمية من جيب سوداء قصيرة مع قميص ناصع البياض ورابطة عنق سوداء ، في مظهر يوحى دوما بالجدية وهى تتقن عملها دوما ومحط ثقة الطرابلسى ، وتفهم الطرابلسى بالإشارة ، تقف ساره مبتسمة في انتظار سرحان الطرابلسى وتلتقط الحقيبة من فرد الامن ، ويبادرها الطرابلسى بتحية عاجلة كتلك التى القاها على افراد الامن فى مدخل الشركة:

-- صباح الخير يا سارة

-- صباح الخير يا فندم ، حمدا الله على السلامة

.. يدخل الطرابلسى إلي مكتبه ، وخلفه ساره والتي تضع الحقيبة بجواره وتنصرف ، وقبل خروجها من المكتب يطلب منها الانتظار ، مطالبا أيها بالجلوس للحديث معها .

-- سارة اريدك في امر هام وعاجل

--اتفضل يا فندم

-- اريدك ان تبحثى لى عن قطعة ارض تصلح لبناء فيلا او عمارة

-- لحضرتك يا فندم ام لاحد اخر؟؟

– نعم لى انا

-- ممكن يا فندم نسال مكاتب العقارات أوالسماسرة ، هو حضرتك ستترك فيلا التجمع الخامس ؟

-- كلا يارسارة لن اترك فيلا التجمع ، اريد قطعة الارض في امر ساخبرك به لاحقا .

-- في اى شيء ستستخدم تلك الأرض حتى ابحث عن المناسب

--" وبلهجة مقتضبة " ساخبرك بكل شيء لاحقا يا سارة ولكن الان عليك البحث عن قطعة ارض في محيط منطقة الاهرام وكلما كانت اقرب إلي الاهرامات ذاتها كان افضل

... تخرج ساره من من مكتب الطرابلسى ، ليبدأ هو في الاتصال تليفونيا بصديقه وشريكه الدكرورى حرب مطالبا إياه بان يتقابلا اليوم في مكتبه الساعة الثانية عشر ، ليتباحثا تفصيليا في خطواط العملية الجديده ، وبالفعل مع حلول الساعة الثانية عشر تدخل سارة إلي الطرابلسى لتعلمه ان الدكرورى بيه في الخارج يريد الدخول اليه ، ويستقبله الطرابلسى مرحبا به ويجلسا سويا ليتناقشا في امر العمليه الجديده ، ويشعل الطرابلسى سيجارا وينظر إلي الدكرورى مبتسما

-- متى تحب ان نبدأ العملية يا دكرورى ؟

-- كما ترى يا طرابلسى فانت المخطط والمنظم ، ولكن اخبرنى كيف تتم هذه العمليه اصلا فانا إلي الان غير مستوعب لما تقول ؟

--- اصغى إلي جيدا يا دكرورى ، نحن بحاجة إلي شراء قطعة ارض سكنية في محيط منطقة الاهرام

... ينظر اليه الدكرورى والاستغراب على ملامحه ، ومتعجبا

-- قطعة ارض ؟!!

-- طرابلسى ، الم ترسل لى اليوم لتخبرنى تفاصيل عملية البحث عن الاثار والتنقيب حول أبو الهول ام انا اسأت الفهم ؟؟

-- نعم هو ذاك ، فهمك صحيح

-- اذا ما علاقة شراء قطعة ارض سكنية بما نتكلم فيه عن الحفر والتنقيب؟

--تلك هي الطريقة يا دكرورى

-- اى طريقة يا طرابلسى لم افهم ، ازل هذا الغموض من كلامك واشرح الامر بوضوح ؟

-- اذا استمع إلي جيدا وانتبه لما أقوله لك .

-- كلى اذان صاغية ، تفضل

... يبدأ الطرابلسى في القيام من على الكرسى ، ويأخذ في التجول داخل المكتب ، ورويدا رويدا يبدأ في شرح الطريقة التي سيتم بها الوصول إلي اسفل للتمثال عن طريق حفر نفق من خارج منطقة الاهرامات وتمثال ابو الهول ، فتلك المنطقة محاطة بالحراسة والشرطة ومراقبة على مدار الساعة وكلما كان المكان اقرب إلي منطقة التمثال كلما كان افضل من جهة توفير النفقات وكذلك توفيرا للوقت المستغرق في الحفر ، وانه سيتم شراء قطعة ارض ثم الإعلان عن انهم سيقومون بانشاء برج سكنى عليها وبالفعل يقوموا باستخراج اوراق وتراخيص بناء برج سكنى ، وهذا لن يجعل احد يشك في وجود معدات حفر وأجهزة ووجود عمال في المكان ، كذلك سيقومون بالفعل ببناء بدروم ودور ارضى ومن داخل البدروم يتم التسلل عبر النفق وسيتم وضع ستائر وشبك حول المكان كاحد سبل الأمان المعتاد وجودها عند انشاء اى مبنى ولكنها في الواقع ستكون احدى طرق التمويه للعملية وان عليهم اتخاذ كافة ما يلزم من احترازات حتى يتم الامر في طى الكتمان ، وأخذ الطرابلسى يستفيض فى الشرح والدكرورى ينظر اليه مشدوها من جرأة الخطة وتمكن الطرابلسى من خيوط العملية ، وامعن

الطرابلسى فى شرح تفاصيل الخطة بان من سيقومون بالحفر هم بالطبع من رجالهم الذين يعملون معهم ، وهذه العملية ستحتاج إلي بعض المهندسين والفنيين نظرا لاختلافها عن عمليات التنقيب السابقة ، فسابقا لم يكن التنقيب يستدعى حفر انفاق ، وربما يكون هذه المرة يكون الحفر عميق وفى المرحلة الحاليه عليهم البحث عن قطعة ارض في اقرب مكان لشارع الهرم حيث انه يعد المكان الأفضل والاقرب لموقع التمثال وطلب من الدكرورى ان يجتهد في البحث معه عن قطعة ارض تفى بالغرض ثم توقف الطرابلسى عن الكلام ليسال الدكرورى عن سبب صمته المطبق وعدم التعقيب على كلامه ، ليجيبه الدكرورى بانه مذهول من الفكره بالإضافة إلي خوفه من انكشاف الامر واخبر الطرابلسى ان تلك عملية ضخمة وخطره وبها مجازفة كبيرة ، يقف الطرابلسى خلف الدكرورى واضعا يدا في جيبه والأخرى على كتف الدكرورى ومطمئنا ايه بألا يخاف فكل شيء سيتم دراسته بعناية ، وان ما عليهم الان هو البحث عن قطعة ارض مناسبة في افضل موقع ، وفى نهاية حديثه مع الدكرورى طلب منه ان ينقل ماسمعه تفصيليا إلي كلا من مصطفى الصاوى وحمزة الفقى شركاؤهم فى العملية ، لان عليه ان يعج العدة للسافر إلي ايطاليا لمقابلة اصدقاء له سيحتاجهم فى تلك العملية ، لينظر اليه الدكرورى وهو يبتسم قائلا :

... صدق من اطلق عليك اسم " الاخطبوط "

أستاذ التاريخ

انهى سفيان وزملاؤه من طلبة الفرقة الرابعة امتحاناتهم ، وحاول سفيان مرارا البحث عن فرصة عمل والتى كانت منصبة فى المقام الاول على مجال التدريس ، فمن مدرسة تخبره بان لديها فائض بمدرسى التاريخ إلي أخرى تطلب منه كتابة طلب توظيف وحين يحتاجوه سيستدعوه ، وتلك ترفضه بشكل صريح بان لا فرصة لديهم ، ومع تكرار الامر بين رفض هنا وهناك تملكه اليأس وجلس في المنزل واصابته حالة من الاكتئاب ، واقترحت امه عليه ان يذهب إلي صديقه مروان ليجعل ابيه يتوسط له لدى احد معارفه كى يجد له فرصة عمل ، فرفض لكى لا يظهر امام سمية التى لم تفارق خياله منذ راها للوهلة الاولى ، فكان يخشى ان يظهر امامها فى صورة قليل الحيلة المحتاج الى ابيها ، واضطر في النهاية ان يعمل بأحد شركات الامن كحارس على احد المولات التجارية ،

الى ان اتصلت به احدى المدارس الابتدائية بحى العمرانية بمحافظة الجيزة والتى كان قد ترك بها طلب توظيف لتخبره بان هناك فرصة للعمل بعقد سنوى كمدرس للدراسات الاجتماعية في المدرسة ، على الفور التحق سفيان بالمدرسة ولكنه فوجىء براتب شهرى لا يكاد يكفى لسد رمقه ، فضلا عن المواصلات التي يركبها من بيته إلي المدرسة ، فاضطر الى الاستمرار فى العمل بعمله الليلى كحارس امن ليكفى متطلباته . واصبحت حياته بالنهار يقضيها فى وظيفة

لاتسمن ولا تغنى من جوع وفى الليل ساهرا الى ان يطلع عليه الصباح ليعيد الدورة من جديد ، وفى حال تاخره على الذهاب الى المدرسة ولم يلحق بطابور الصباح يصطدم بالاستاد " عبد الستار " ناظر المدرسة والذى يستقبله بموشح حول الانتماء و الاخلاق والالتزام والوطنية ، وعبثا حاول ان يشرح له سفيان ان الانتماء لن ياتى بطقوس واناشيد تغنى بقدر ما يتأتي بزرع روح تشعر الانسان بهذا الانتماء.

المال يشترى كل شىء

... يصل الطرابلسى كعادته صباحا إلي مكتبه ، ويسال ساره عن طلبه السابق بشان قطعة الأرض التي كان وطالها بالبحث عنها سابقا ، لتجيبه بان المكان لايوجد به قطع اراضى فضاء ، وانه منذ عدة اسابيع وهى تبحث بلا طائل، وكل ماهو موجود عبارة عن منازل قائمة بالفعل وان كان ولا بد فعليه ان يشترى احد تلك المنازل ويهدمه ثم يعيد بناؤه ، فينظر اليها الطرابلسى بامتعاض ويشير بيده ان كلا كلا ، ولا تروق له الفكره ، ويتصل على الدكرورى ليرى ما وصل اليه ويخبره الدكرورى بان شارع الهرم منطقة حيوية جدا ومن الصعب الحصول على قطع اراضى فضاء فلقد اتصل على اكثر من وسيط عقارى دون جدوى فالجميع يعرض ابنية للبيع كمنازل او مبانى تجاريه ولا توجد اراضى خلاء ، فيخبره الطرابلسى انه سمع هذا الكلام أيضا من سكرتيرته سارة ، ومع صعوبة امكانية العثور على ارض فضاء بدأ الطرابلسى يتقبل فكرة شراء مبنى قائم ثم هدمه وتنفيد العملية رغم ان هذا لا يروق له لكثرة التكاليف والوقت ولكن بدا انه هو الحل الوحيد والمتاح ووافقه الدكرورى الراى ، ينهى الطرابلسى مع الدكرورى المكالمه ليستدعى سارة ، ويطلب منها عمل كشف بأسماء المنازل او المنشأت المعروضة للبيع سواء سكنية او تجارية.

وبالفعل تبدا سارة بتجهيز قائمة بها أسماء وعتاوين ومواصفات تفصيلية للابنية المعروضة للبيع فى شارع الهرم وما حوله من تفرعات ، ومنها ما هو معروض على الانترنت مباشرة من قبل أصحابها او عن طريق وسيط عقارى ، وفى غضون ساعة تدخل سارة إلي الطرابلسى لتضع امامه ملفا يحتوى على قائمة بالابنية المعروضة للبيع ، ويلتقط الطرابلسى الملف منها لينظر فيه نظرة سريعة ثم يعطيها إياه لتنسخ منه اربعة نسخ ، ويهم في ارتداء جاكت بدلته عازما العوده إلي المنزل ، مخبرا سارة بان من يسال عليه تخبره بانه لن يعود إلي الشركة اليوم ، ويطلب منها ابلاغ السائق بان ينتظره امام الشركة ليعود به إلي المنزل ، وتخبر سارة السائق بان يقوم بتجهيز السيارة وكذلك سريعا هى تجهز اربع نسخ من الملف وتعطيهم للطرابلسى ، وتخبر الامن بان الطرابلسى خارج من الشركه ، ليكون الجميع فى موقعة ، ويخرج الرجل في الابهة المعتاده ، ويركب سيارته ومعه الملفات الأربع يحملها بنفسه ، ويمسك أحدى تلك الملفات ويبدأ في الاطلاع عليه و تصفحه وهو في السيارة ، ويستغرق فيه باهتمام وهو ينظر في تفصيلات كل مبنى ويتخيله اثناء العمل به والتنقيب اسفله وهل المكان سيكون به معوقات ام لا ، ويرى ماهو في بداية شارع الهرم وذو مساحة كبيرة واخر قرب منتصف الشارع ولكنه في تفريعة جانبية ، واخر في قلب ميدان الرماية باخر الشارع وقريب من التمثال جدا ولكن مكانه حيوى ومكشوف للقاصى والدانى ، وفى اثناء قرائته وانهماكه في تفاصيل المنازل المعروضة للبيع ، يفاجىء بان السيارة توقفت

والسائق يفتح له الباب منتظرا خروجه فقد وصلوا للفيلا ، يخرج من السيارة متعجلا وخلفة السائق بالشنطة ويسلمها للحارس والذى ما ان يرى الطرابلسى حتى يرحب به متهللا ومعطيا إياه ما ينبغي من ترحيب واجلال و يدخل معه حتى غرفة المكتب واضعا الشنطة ثم ينصرف ، يغلق الطرابلسى باب مكتبه على نفسه ويتصل بشركاؤه الدكرورى حرب ومصطفى الصاوى وحمزة الفقى ويطلب منهم الحضور للفيلا ، ويجلس على مكتبه منتظرا اياهم وهو يتفحص ملف الابنية ويقارن بين كل بناء واخر حسب بعده وقربه وحسب ارتفاعة وكم يستغرق من هدم واعادة بناء ، واخذ يسجل ملاحظاته في ورقة خارجية ، وفى اقل من ساعة بدأ شركاؤه يتوافدون واحدا تلو الاخر إلي ان اجتمعوا وبدا الطرابلسى يخبرهم بانه نظرا لعدم وجود قطع ارض فضاء ، سيتم البحث عن بناء قائم بالفعل وهدمه ، وانه قد حصل من سكرتيرته على قائمة بعدة مبانى معروضة للبيع ، وقد استدعاهم ليتفقوا على احد تلك المباني لشرائه ومن ثم الشروع في هدمه والبدء في تنفيذ ما اتفقوا عليه وبدأ في اعطاء كلا منهم نسخة من الملف الموجود معه ، مطالبا اياهم بدراسة تلك المواقع للابنية الموجوده واقتراح ايهم له الافضليه ، ليبدا كلا منهم بتصفح الملفات الموجوده امامهم ، ويبدأون النقاش حول اى تلك الابنية يفى بالغرض ، فما بين من يؤيد الاقرب جغرافيا ، وما بين من يختار الابعد عن الطريق الرئيسى ليكون اكثر امانا وابعد عن اعين الاجهزة الرسمية للدوله وبدأ كل امنهم يستعرض وجاهة موقفه

وجدوى الاخذ بكلامه ، إلي ان تدخل الطرابلسى حاسما الامر ومنهيا الجدال الدائر بينهم :

... حسنا يا رفاق فالتصغوا إلي وبدأ الطرابلسى يشير إلي احد البنايات المعروضة للبيع قائلا

-- سنقوم بالحفر والتنقيب من تلك العمارة الموجودة فى ميدان الرماية والتى يمتلكها طبيب يدعى " الدكتور فواز " حسبما اعلن عن نفسه فى الاعلان على الانترنت ، فهذا افضل مكان يمكن اختياره وسأخبركم لما هذا المكان تحديدا له الافضلية .

... وبدا الطرابلسى يعدد لهم افضلية هذا المكان عن غيرة ، أولا من جهة القرب الجغرافى حيث لا تبعد المسافة بين ميدان الرماية والتمثال سوى قرابة اثنين كيلومتر على اقصى تقدير بالإضافة إلي ان تلك العمارة تتكون من خمسة طوابق فقط بخلاف بقية المباني التي تتعدد بها الطوابق ما بين عشرة إلي أربعة عشر طابق ، مما يستغرق وقت أطول في إزالة المبنى ، اما النقطة التي اثارها البعض كجانب سلبى لهذه العمارة وهى وجودها في مكان مكشوف وظاهرة للعيان ، فقد اقنعهم الطرابلسى انها نقطة ايجابية رغم كونها قد تبدوا للوهلة الاولى نقطة سلبية ، نظرا لانه من المستبعد ان يشك احد ان هناك من ينقب في هذا المكان الحيوى، وكذلك لان الاعمال الانشائية في الميدان ستأخذ وقت أطول لكون العمل يتم بحذر وتؤده ، وهذا سيوفر الوقت اللازم لحفر النفق المطلوب ، واعطائهم

الوقت اللازم حال حدوث اى طارئ أثناء الحفر ، وبالفعل يبدأ الحضور في التجاوب مع رأى الطرابلسى والاقتناع به ، ثم يشرح لهم انه من اهم المعوقات الان هو انهم مضطرين إلي الاستعانة بمهندسيين وفنيين للاشراف على الحفر في النفق ، حيث سيتم اتباع أسلوب تنقيب جديد عليهم لم يعتاده رجال الطرابلسى وشركاؤه من قبل ، وابدى الدكرورى تخوفه من فكرة استمالة بعض الأشخاص من متخصصى الحفر ، فتلك مغامرة كبيرة قد تعرضهم للخطر حال قام احدهم بالوشاية ، فاقنعه الطرابلسى ان المال يشترى كل شىء وكل ما هو عصى على الشراء ، واتفقوا على ان يتركوا امر الاستعانة بفنيين الحفر علي الطرابلسى فهو يعرف جيدا بمن سيستعين ويعرف كيف يضمن ولائهم ، وتم الاتفاق على ان يقوم الدكرورى بالتواصل مع مالك العقار وانهاء اجراءات البيع والشراء على ان يتقاسموا فى التكاليف كلا بنسبة الربع ، واتفق الحضور على ذلك وانصرفوا في انتظار الدكرورى ليخبرهم بما توصل اليه مع مالك العقار .

****

ابو الهول على مرمى البصر

...وفى صبيحة اليوم التالى يبدأ الدكرورى بالتواصل مع مالك العقار الذى وقع عليه الاختيار و الذى يطل على ميدان الرماية ، ويتصل به الدكرورى ليرد عليه رجلا ذو صوت اجش ويرحب بالتواصل مع الدكرورى ولكنه يؤجل اعطاء اية تفاصيل لحين المقابلة ، وبدوره يطلب الدكرورى تحديد موعد لمعاينة الموقع على الطبيعة وكذلك للاتفاق حول السعر وكافة التفاصيل ان تم الاتفاق ، وبالفعل يتفق معه على مقابلته فى العقار فى اليوم ذاته ، ومع الساعة الرابعة عصرا وهو التوقيت المتفق عليه يذهب الدكرورى للعقار وينتظر فى سيارته إلي ان ياتى مالك العقار ، وما هى الا دقائق قليلة الا وكان المالك يتصل به مخبرا اياه بانه على وشك الوصول ، ينزل الدكرورى من سيارته ويترجل حولها متطلعا إلي المكان بنظرة شامله ليقدر كم تبلغ المسافه بين المكان المستهدف للتنقيب وذلك العقار ، فمن مكان وقوفه تبدوا الاهرامات وتمثال ابو الهول على مرمى بصر ، ويستشعر قرب المسافة التى لن تتعدى باى حال فى اقصى التقديرات ثلاثة كيلو مترات ، واثناء تأمله وتقديراته يرى امامه سيارة مرسيدس فاخرة ذات نوافذ مظلله ، تقف امام العقار تماما ، فعاد الخطوات التى ترجلها بعيدا عن سيارته ليذهب إلي السيارة المرسيدس ، ويقترب من تلك الشخصية التى نزلت للتوا من السيارة قائلا :

-- اهلا يا فندم حضرتك الدكتور فواز اليس كذلك ؟

-- نعم ، اهلا وسهلا دكرورى بيه تفضل هناك مكتب فى الدور الارضى بالعقار يمكننا التحدث بالداخل .

...يصطجب الدكتور فواز الدكرورى إلي داخل العمارة بالطابق الارضى حيث غرفة مكتب يبدوا عليها انها متروكة مند فترة نظرا للاتربة وعدم الاعتناء بها ، يجلس الدكرورى مع الدكتور فواز ويعرفه بنفسه على انه رجل اعمال ويحتاج مقر ادارى لشركته وقد راى ان موقع تلك البناية مناسب لما يريده ، ورحب الدكتور فواز بطلبه وقام معه وأطلعه على المبنى والمكون من خمسة طوابق بمساحة ستمائة مترا وبكل طابق شقتين ، بخلاف الطابق الارضى المكون من مكتب كان يستعمله الدكتور فواز كعيادة طبية فهو طبيب تخدير بمستشفى قصر العينى ، وساله الدكرورى عن المبلغ النهائى المطلوب بالمنزل ، فاخبره الدكرورى انه يطلب ثلاثة عشر مليون جنيها ولم يفاصل الدكرورى فى المبلغ ووافقه على المبلغ ، واستأذن الدكرورى من الدكتور فواز للخروج إلي سيارته لبضع دقائق ليتواصل مع شركاؤه بالهاتف ، ويخرج من المكتب ويذهب لسيارته ويتصل على الطرابلسى ويخبره بفحوى اللقاء والمبلغ المتفق عليه ، فيبدى الطرابلسى ترحيبه بالاتفاق ويطالبه بالاتفاق مع الدكتور فواز على انهاء الاجراءات ، ثم يعود الدكرورى إلي الدكتور فواز ويتفقوا على ان يتقابل محامى كليهما للوقوف على الاجراءات والاتفاقات النهائية لاتمام اجراءات البيع .....

كنز قارون

... يجتمع المحامى الخاص بشركة الطرابسى ومحامى الدكتور فواز ، في مكتب الدكرورى وينهيا اجراءات انتقال الملكية من الدكتور فواز البائع إلي الشركاء الأربع كطرف ثان مشترى والذين فوضوا الدكرورى بموجب توكيلات منهم ، ويتم الإشارة بالعقد إلي ان حصة كلا منهم تساوى الربع سواء المبنى القائم او الأرض المبنى عليها العقار ، وكذلك اشتركوا الأربع في دفع الثلاثة عشر مليون جنيها بالتساوى ، وتم تحويل الثمن على الحساب البنكى للدكتور فواز ، وتمت إجراءات البيع والشراء وانتقل العقار إلي الملاك الجدد ، وفى اليوم التالى مباشرة يذهب الطرابلسى وشركاؤه إلي العقار ليعاينوه ويروا العقار على ارض الواقع ويتجولا فى العقار وخارجه ويقوموا بمعاينة مبدئية ويجمع الكافه على ايجابية الموقع للهدف المطلوب له ، ويجتمعوا داخل المكتب الموجود بالدور الارضى بالعقار ، ويطالبوا الطرابلسى بالاسراع فى الخطوه التاليه وهى ازالة المبنى ، والذى يطلب منهم الانتظار حتى يتكلم مع بعض شركاؤه خارج مصر ، فينبغى عليهم الا يقوموا بمثل تلك العملية منفردين ، ويرى امتعاض الجميع ودهشتهم ، وبدأوا ينظرون إلي بعضهم البعض ويساله الدكرورى .

---و لمادا يا طرابلسى ستاتى باخرين معنا الا يكفى نحن برجالنا ؟؟

--.. ينظر اليه اطرابلسى ويعلوه التعجب من كلام الدكرورى .

-- لماذا سأاتى بأحد ؟!

--- هل انت مدرك يا دكرورى ما الذى نحن مقدمين عليه ؟! نحن سنقوم بأكبر عمليه تنقيب عن الاثار ربما في التاريخ كله ، ذلك المكان ان وجدنا به شيء لن يكون مقبرة ولا تمثال انت ستجد كنوزا مدفونة من الاف السنين لم تمتد أيها يد ، بل ربما تجد مدينة بأكملها ، ونحن لا ندرى ما الذى يمكن ان يوجهنا اثناء الحفر ، ثم نحن لن نستعين بغرباء انهم أصدقائنا الذين نتعامل معهم في الخارج لتصريف الاثار التي نجدها ، سناتى بهم إلي هنا ليعاونونا ليس اكثر ، وكذلك المساعدة في خروج ما نجده إلي الخارج ثم ليكن في علمكم انه ليس حفرا كالمعتاد نحن سنتحتاج إلي متخصصين في حفر الانفاق وزاوية الميل ونوعية التربة ، والمياه الجوفية وحسابات كثيرة ومعقدة ، وان كنتم تخشون من يقاسمكم في الغنيمة ، فلا تشغلوا بالكم فالعائد من وراء تلك العملية كفيل بان تنافسوا قارون فى ثراءه و سيكفيكم بل وسيكفى أجيال بعدكم ..

... يلتقط مصطفى بيه الصاوى طرف الحديث ويوجه كلامه للكافة هو يوزع النظرات بين الطرابلسى والحضور ولم يزل غير مقتنع بكلام الطرابلسى

-- ولكنا معتادين ان نستعين باصدقائك في الخارج يا طرابلسى للتصريف فقط ، باى صفة سياتون إلي مصر ؟؟

... يجيبه الطرابلسى وهو يضع احدى يديه في جيب البنطلون واليد الأخرى تمسك السيجار ويضعه في فمه ويشد نفس عميق .

-- سياتوا للسياحة يا مصطفى ، سياتوا بتاشيرات سياحية وانا ساسافر إلي إيطاليا الأسبوع القادم واقابلهم واتكلم معهم واشرح لهم الامر برمته ، وحين اعود نرى كيف نخطط تفصيليا لذلك الامر...

****

رحلة الطرابلسى إلي إيطاليا

... يستعد الطرابلسى للسفر لإيطاليا ويطلب من سارة حجز تذكرة الطيران وكذلك الفندق لمدة أسبوع ، والتي بدورها انهت المطلوب سريعا بتذكرة ذهاب وعودة من مطار القاهرة إلي مطار " ليوناردو دافنشى " اشهر مطارات روما حيث لا يبعد سوى قرابة ثلاثين كيلو متر من قلب العاصمة ، وكذلك الحجز بفندق " كاسا لاسال " والذى يقع بقلب العاصمة وذي الاطلالة الرائعة على المساحات الخضراء من كل جانب وهو الفندق الذى اعتاد الطرابلسى الإقامة فيه كلما حضر إلي إيطاليا ، وكذلك به موقف سيارات مجانى و بالقرب منه متنزه ،، فيلا سسيارا ،، اكبر متنزهات إيطاليا مما يجعل الاقامة به ممتعة ومريحة ، أبلغ الطرابلسى أصدقائه في إيطاليا قبل سفره من مصر بموعد حضوره اليهم لمناقشتهم في امر هام ، وبالفعل فى اقل من اسبوع تم تحديد موعد السفر ، وتنطلق طائرة مصر للطيرن من القاهرة نحو روما ، ومع حلول الساعة السادسة مساء تهبط الطائرة في مطار دافنشى وما ان يتم الطرابلسى إجراءات الخروج حتى يجد في استقباله صديقه " باجيو " ذلك الرجل الأشقر ذو البشرة البيضاء والعيون الخضراء والجسم الرياضى الممشوق في صورة اقرب إلي نجوم السينما ، والذى قابل الطرابلسى معانقا ومهنئا بسلامة الوصول ، واصطحبه من امام المطار بسيارته إلي فندق " كاسا لاسال " واخذ يسترجعا سويا ذكرياتهم منذ اخر مرة

تقابلا فيها في العام الماضى حين كانوا يقومون ببيع تمثال فرعونى من الذهب الخالص يقدرعمره بأربعة الاف عام ، وكيف كانت عملية من انجح العمليات إلي قامو بها سويا بالإضافة إلي اصدقائهم بومبينو وروبرتو ، وقطعت السيارة بهم الثلاثين كيلو متر من المطار إلي الفندق في قرابة عشر دقائق تقريبا ، لينزلا من السيارة وينهي باجيو إجراءات تسكين الطرابلسى في الفندق ، ويتركه باجيو على ان يتقابلا غدا في متنزه " فيلا سسيارا " ليتحدثا بخصوص ما اتى الطرابلسى من اجله ، يصعد الطرابلسى إلي غرفته ويغير ملابسه و يطلب الطعام بالغرفة ، ثم يبدأ في الاستعداد للنوم ليقوم باكرا لمقابلة صديقه باجيو ...

... يصل الطرابلسى إلي متزة " فيلا سسيارا " في العاشرة صباحا بسيارة مرسيدس ليموزين سوداء وفرها له الفندق وفى كافيه " بيتشو " المشهور بعمل القهوة الإيطالية الموجود بوسط المتنزه والذى يعد الطرابلسى احد زبائنه المعروفين والمرموقين ايضا ، يدخل الطرابلسى ويجلس على ترابيزة في احد اركان الكافيه ، مطلا من شباك زجاجى على المساحات الخضراء الشاسعة بالمتنزه ، وما ان رآه الجرسون في الكافيه حتى رحب به وحياه كثيرا ، وطلب منه الطرابلسى مشروب " كابيتشينو " وبدأ يشعل سيجاره في انتظار باجيو ورفاقه ، ولم تمر دقائق معدوده ، حتى حضر باجيو ومعه روبرتو وبومبينو والذين تبادلوا مع الطرابلسى العناق والترحاب والود الذى ينم عن علاقات وثيقة بينهم ، وجلسوا الأربعة ، واحضر لهم الجارسون كذلك كابيتشينو ، وبدأ الطرابلسى يعرض

عليهم الامر وما عزم عليه وان الامر ضخم ويحتاج مساعدتهم فيه وستصبح عملية من اكبر عمليات التاريخ ، وما ان سمع أصدقائه الثلاثة بالامر حتى أصيبوا بالدهشة من هول ما يفكر فيه وان تلك الفكرة لم يقم بها أحدا من قبل ، وابدوا قلقهم من أن اكتشاف أمر كهذا سيجر وبالا عليهم ، وان كانوا سيوافقون عليه فينبغي التخطيط والدراسة له جيدا ، واخذ الطرابلسى يحثهم على الامر ويزينه لهم وانه بحاجة إلي مشورتهم الفنية ، وكذلك بحاجة الى الاستعانة بهم وباساليبهم في كيفية خروج الآثار من مصر وبيعها ، وهو سيتكفل بالامور المادية حتى العثور على ما يأملوه من اثار وأن ما يجدوه سيقتسموه بالتساوى هو وشركاؤه المصرين بالنصف وهم بالنصف ، وحاولوا ان يتاكدوا من الطرابلسى من مدى احتمالية وجود شيء من عدمه ، فبادر باجيو بسؤال الطرابلسى :

-- طرابلسى ، ما مدى احتمالية ان نجد شيء اسفل التمثال والمنطقة تلك؟؟

-- باجيو استمع الى جيد ، حين اخبرك ان المكان هذا اعظم منطقة اثرية على وجه الأرض ، فما ظنك بمدى احتمال وجود شيء في مكان كهذا ؟! ثم ان التكاليف المادية انا ورجالي سنتكفل بها .

... نظر باجيو إلي روبرتو وبامبينو وهزوا رؤسهم اقتناعا . وطلبوا منه ان يحضروا لمصر لمعاينة الوضع على الطبيعة ، وان رأوا ان الامر مجديا بالفعل سيقوموا باعداد تصور مبدئى لخطة حفر النفق ، وبقية الامور الفنية ، ويقضى

الطرابلسى بقية اجازته في ضيافة أصدقائه إلي ان حان موعد رجوعه ، ثم ودعهم على ان ينتظرهم في مصر في اقرب وقت ممكن وحثهم على الاسراع فى اعداد تصور مبدئى لخطة الحفر والتجهيزات الفنية المطلوبة وكافة ما يلزم لحفر النفق لثقته فى انهم سيقتنعوا بالامر ، ومع نهاية الاسبوع يتوجه الطرابلسى إلي مطار دافنشى ويتمم اجراءا ت سفره ويستقل الطائرة عائداً إلي القاهرة ، ويخبر شركائه المصريين بمضمون رحلته وانهم في انتظارأصدقائه الايطاليين لبدأ العمل ...

****

ساعة الصفر

... بعد مرور شهر من عودة الطرابلسى من ايطاليا ، اتصل روبرتو بصديقه الطرابلسى واخبره بمجيئة وزملاؤه مع بداية الاسبوع وتحديدا يوم السبت القادم إلي مصر ليجتمعوا به واصدقائه المصريين وبدوره يخبر الطرابلسى سارة وكذلك شركاؤه فى العملية ، وتقوم سارة بما يلزم من اجراءات حجز لهم فى فندق النيل هيلتون داخل احد الاجنحة الخاصة ومع بداية الاسبوع وحلول العاشرة مساء يعلن المذيع الداخلى لمطار القاهرة عن وصول الرحلة رقم ٢٠٩٧ القادمة من روما ، وينتظر الطرابلسى وسارة الوفد الايطالى بالمطار ونظراتهم تتفحص الركاب الذين انهوا اجراءات الخروج ، إلي ان شاهد الطرابسى باجيو فصاح مناديا عليه فقد كان هو اول الخارجين من المجموعة الايطالية ، وسريعا اتجه نحوه باجيو ورفاقه بالسلام والعناق وكذلك فعل الطرابلسى مع بقية الوفد بومبينو وروبرتو اضافة الى احد الوجوه الجديدة الذى يراه الطرابلسى للمرة الاولى ، ورحبت سارة بهم كذلك وانطلقوا جميعا نحو الخارج ليستقلوا السيارة نحو الفندق ، وفى السيارة عرفه باجيوا على صديقهم الجديد المهندس" ماردينى " احد كبار المهندسيين الانشائيين والدى له باع كبير فى حفر الانفاق ، فابتسم الطرابلسى ابتسامة عريضة ورحب به كثيرا وصافحه مرة اخرى هو يشد على يديه بقوة ، وما ان وصلوا إلي الفندق حتى قامت سارة سريعا بانهاء اجراءات

التسكين ، وتركهم الطرابلسى ليستريحوا على ان يلتقوا غدا فى شركته ليبدؤا التحدث والترتيب للعملية..

... فى الصباح التالى مباشرة ارسلت سارة إلي الوفد الايطالى سيارة مرسيدس سوداء اقلتهم من الفندق إلي شركة الطرابلسى ، والذى استقبلهم بمكتبه وعقد معهم اجتماعا واخبر سارة بان لا يدخل عليهم احد ولا تخبره باى شىء كان صغيرا او كبيرا حتى ينتهوا من الاجتماع ، وبدأ يستمع لما لديهم عن خطوات تنفيذ العملية ، واخبروه بانهم اعدوا بعض الخرائط عن المكان ، وبيانات عن محاولات سابقة قامت بها الجهات المخولة بهذا ممثلة فى بعثات التنقيب عن طريق الحفر المباشر فى المكان وكلها اثبتت عدم وجود شىء ، نظرا لان التنقيب كان على اعماق لم تزد عن خمسة عشر مترا فى افضل الاحوال ، ولذا عليهم محاولة التنقيب على عمق اكثر من هذا ، وهذا سيستدعى حفر نفق على غرار الانفاق المستخدمة فى المناجم.

واخذ المهندس ماردينى يشرح امامهم الخطوات الفنية لحفر النفق ، وبانه سيكون عن طريق نفق مقوس لتحمل الضغوط والاحمال من اعلاه ومن جوانبه ، وسيكونوا بحاجة إلي كميات كبيرة من الاسمنت لتبطين جدران النفق حتى لا يتعرض للانهيار ويمكنهم حفر ذلك النفق بشكل يدوى وهذا سيستغرق اربعة اشهر مع وجود عشرون عاملا ووجود العديد من الدقاقات التى ستخترق الصخور المحتمل وجودها بلا سك ، اويمكنهم الاستعانة بماكينة حفر انفاق

كتلك المستخدمة فى المناجم ، وهذا سيستغرق قرابة الشهر مع ثلاث عمال فقط لرفع مخلفات الماكينة ، فأجمعوا على ان استخدام الة الحفر افضل لانتهاء المهمة سريعا ، ولكن استيراد مثل تلك الماكينة صعب وسيستدعى معرفة السلطات لاى سبب يتم استيراد تلك الماكينة ، فاقترح باجيو ان بقوم الطرابلسى باستيرادها عن طريق شركته على هيئة قطع غيار واجزاء مفككة ، وبها للطرابلسى من أصدقاء ونفوذ يمكنه تسهيل امر استيراد تلك القطع ، ويقوم ماردينى فيما بعد بتجميعها ويمكنه الاستعانة باحد المتخصصين فى تركيبها وسارع ماردينى بالتقاط طرف الحديث بان له صديقه عمل معه في مشاريع كثيرة يدعى ماتيوث وهو خبير في تشغيل وصيانة الات الحفر ويمكنهم الاستعانة به في تجميعها بل ويمكنهم الإبقاء عليه اثناء العملية كمسؤل صيانة للالة ، اعجب الطرابلسى بكلام المجموعة الايطالية واثنى عليه ورأى ان الامر مدروس بعناية ، وطلب باجيو من الطرابلسى ان يذهبوا لموقع العقار لالقاء نظرة عليه وعلى المكان عامة ، وفى الصباح رافقهم الطرابلسى إلي الموقع والتقوا هناك باصدقائه المصريين الذين حضروا باكرا وكانوا فى انتظار الطرابلسى والمجموعة الايطاليه ، وتجولوا جميعا بالعقار وخارجه ورأو الامر رأى العين واثنوا على جودة الموقع واشاروا على الطرابلسى ان يبدأ فى ازالة العقار واستخراج التصاريح اللازمة بانشاء برج سكنى حتى يكون الاعمال التى سيجروها تحت ستار قانونى ، ويتوجه الطرابلسى بالحديث إلي حمزة الفقى بما له من سابق علاقة بالعديد من المختصين

بتلك الامور وخاصة فى " الادارات المحلية والاحياء " ان يتولى تلك المهمة مع الجهات المعنية باستخراج ما يالزم من تصاريح وموافقات لهدم العقار فهو عضو مجلس نواب سابق وله شبكة علاقات واسعة تسهل له مثل تلك الامور وكذلك يتولى استخراج الاوراق والتصاريح لانشاء برج سكنى على قطعة الارض بعد ان يزال العقار ، وسيبدأ هو اى الطرابلسى بالبدأ في إجراءات استيراد قطع غيار الة الحفر من إيطاليا على ان تقوم سارة بالتواصل مع الشركات الإيطالية التي ستورد له قطع الغيار من هناك ، ثم توجهوا جميعا للمنطقة الاثرية بجوارهم للتجول والتنزه ، بعد ان رسموا الخطوط العريضة للعملية

****

آلـة الحفر

... وبالفعل انهى حمزة الفقى جميع اجراءات ازالة العقار بل واشرف بنفسه على اجراءات الازالة واحضر المعدات والسيارات التى حولت المكان إلي اثرا بعد عين ، وعلى مسطح ستمائة متر مربع اصبحت الارض فضاء خلاء لا ترى فيها عوجا ولا امتا ، وبعدها وبنفس الوتيرة شرع مباشرة فى استخراج التصاريح اللازمة لانشاء برج سكنى مكون من بدروم وارضى وأثنى عشر طابق ، ثم حان دور الدكرورى حرب فهو واحد من اكبر رجال المقاولات ويمتلك شركة الدكرورى للمقاولات ذات الصيت الرنان ، وبالفعل قامت معدات الشركة بتجهيز الأرض والحفر بعمق ثلاثة امتار واحضر الاسمنت والزلط والرمال وشرع في بناء البدروم وقام بانهائه ومن أعلاه بنى الطابق الأول ، وامعانا في التمويه قام بانشاء ستائر حديدية مغطاة بشبك بلاستيكى ، ولم يترك الا مكانا صغيرا يسمح بمرور سيارة منفردة لزوم دخول المعدات إلي البدروم ثم أوقفوا البناء عند ذلك الحد مع بقاء الرمال والزلط واسياخ الحديد امام المبنى وكل ما يوحى بان العمل مستمر في بناء البرج السكنى ، ثم سحب الدكرورى الفنيين والمهندسين الخاصيين بشركته و فى تلك الاثناء كان الطرابلسى يستقبل الة الحفر والتي وصلت ميناء الإسكندرية على متن سفينة شحن في أربعة صناديق خشبية داخل حاوية ومدونة باوراق الاسيراد انها قطع غيار من إيطاليا مستوردة لصالح شركة الدكرورى للمقاولات ،،

وبعد استكمال استيراد جميع قطع الاله الخاصة بالحفر بدأ الطرابلسى فى شحنها من الاسكندرية الى القاهرة ليتم تخزينها فى البرج السكنى المزمع انشائه وتحديدا فى البدروم فى اجراءات طبيعية لاتوحى باى قدر من الريبة ، والجميع الان فى انتظار الفريق الايطالي والمهندس ماردينى وماتيوث اللذان سيعملان على تجميع الة الحفر ولم يدم الانتظار طويلا فما هى الا ايام معدودات وحضر ماردينى وماتيوث وباجيو الى مصر ليبدؤا العملية وبالفعل اتم ماردينى وماتيوث تركيب الة الحفر وجعلها على اهبة الاستعدادا للعمل والتى بدت كعملاق يمكنه ان يفترس ما يعترضه بشفراتها الحادة وتروسها اللامعة القاطعة ، وطلب الطرابلسى من صديقه مصطفى الصاوى ان يجهز له ثلاثة من العمال اللذين يستعينوا بهم فى التنقيب عن الاثار لعمل فتحة بعمق مترين داخل البدروم تبدا منها الة الحفر العمل حسبما طلب ماتيوث وماردينى من الطرابلسى ، فهذا امعن فى السرية من ان تبدأ الة الحفر فى العمل من سطح الارض مباشرة ، وعلى الفور استدعى مصطفى الفقى ثلاثة رجال ممن يثق بهم يعملون معهم بالتنقيب وهم " ابوزيد " و" الدهشورى" و " جاسر " ، واللذين لم يمر عليهم سوى اربعة ايام من العمل اليدوى فى الحفر حتى كانت فى وسط البدروم حفرة بعمق مترين وقطر مترين كذلك ، ثم واجهوا مشكلة انزال الالة الى هذا العمق وكان الاختيار بين ان يستعينوا برافعة صغيرة تدخل اللى البدروم وهذا سيستعى دخول سائق لتلك الرافعة للتحكم فيها فى ذلك المكان الضيق نسبيا ثم تعمل على انزال الة الحفر

اوالاختيار الثانى ان يقوموا بتفكيكها ثم انزالها ومن ثم تجميعها داخل الحفرة مرة اخرى ، وكان الاختيار الثانى هو المفضل حتى يضمنوا عدم دخول او خروج شخص اخر غير المتولون العملية ، وبالفعل تم تفكيك الماكينة وقام العمال ومعهم ماردينى وماتيوث بانزال قطع الالة داخل الحفرة عن طريق الحبال واعاد ماتيوث وماردينى تجميعا بالاسفل مرة اخرى ، وبدأت العمل بالفعل واخذت تخترق الارض من وسط تلك الحفرة وشق طريقها نحو الداخل بزاوية ميل تسمح لها بالاختراق للامام والاسفل معا ، على غرار ما يتم عمله بانفاق القطارات والتى اشرف عليها ماردينى كثيرا فى المشاريع التى عمل بها سابقا ، وما ان اخترقت الارض وبدأت تختفى وتغيب فى باطن الارض حتى عملا على موارة واخفاء فتحة دخول النفق داخل البدروم التى يبلغ قطرها مترين عن طريق اعمدة و الواح من الاخشاب ،

يتم نصبها فوق تلك الفتحة عقب خروجهم من النفق ومن ثم وضع شكاير الاسمنت وحديد تسليح وبقايا انشائية وطوب كنوع من التموية على تلك الفتحة ، تحسبا لدخول اى غريب فى وقت من الاوقات تحت اى ظرف ، رغم وجود باب حديدى على بوابة الدور الاول الا ان سبل الاحتياط القصوى كان يتم الاعتناء بها .

****

حائط الجرانيت

... العمل بالنفق مستمر على مدار الساعة ، قرابة الشهر الان والعمل يجرى بلا كلل ، ويتم اخراج الصخور والرمال الناتجه عن الة الحفر التي تفترس الصخور افتراسا عن طريق العمال ، الذين يستخدمون عربات صغيرة يدوية كتلك المستخدمة فى المناجم تسير بالركام الناتج من الحفر حتى فوهة النفق ثم رفعه الى الخارج ، ومن ثم يتم تجميعه امام بوابة الحديدية للدور الاول ثم تاتى سيارة نقل فى الصباح تابعة لشركة الدكرورى وتنقله حتى الطريق الدائرى وتلقيه ، والان اصبح طول النفق قرابة الثلاثة كيلو متر واذداد العمق حتى وصل إلي ثلاثون مترا تحت الأرض ، وقطر النفق اصبح قرابة المترين وهو نفس القطر الدى بدت من عنده الماكينة حيث الفوهة التى حفرها العمال فى شكل هندسى متناسق مما يوحى بخبرة ماردينى وماتيوث فى الامر وكدلك كفائة تلك الماكينة فى الحفر والتى تقوم كدلك بالتبطين بالاسمنت لما تحفره ، واصبح النفق ممتدا من ميدان الرماية باتجاه والاهرامات وتمثال ابو الهول ولم يتبقى سوى قرابة خمسمائة متر حتى الوصول إلي المكان المستهدف وهو اسفل التمثال تماما ، وكعادته كل يوم يهبط المهندس مردينى صباحا يتفقد ما تم انجازة من حفر خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية وليرى ان كان ماتيوث او العمال بحاجة الى شىء ، وحسب التقديرات والرسوم فان العمل بالنفق لم يتبقى عليه سوى اقل من

اسبوع ليصلا الى المكان المستهدف ، واثناء سير ماردينى في النفق بصحبة ماتيوس المسؤال عن تشغيل ماكينة الحفر على عادتهم كل صباح واستعراض ماتيوث لما تم فى اليوم السابق مند تركهم ماردينى ، وقبل ان يصلا إلي ماكينة الحفر في اخر النفق يشعروا بجلبة وحركة غير عادية فيسرعا الخطى نحو الداخل ، ليخبرهم العمال بوجود مشكلة وعائق امام الة الحفر ، يسرع ماتيوث وماردينى إلي الة الحفر ويبدأ ماتيوث فى فحص الالة و محاولة تشغيلها ولكن دون جدوى فهى لا تخترق الصخر المتصدر امامها والماكينة سليمة ولا مشكلة بها ولكنها لا تخترق الصخر امامها حاول ماتيوث مرارا معها فهى تدور وتعمل ولكن فى مكانها ولا تتقدم للامام ، فاقترح عليه ماردينى ان يتراجع بالماكينة إلي الخلف ويفحصا الصخر الذى تحتك به الماكينة مباشرة باعينهم ليروا المشكلة عن قرب ، وبالفعل يقوم ماتيوس بارجاع ماكينة الحفر للوراء ، ويتقدم ماردينى وماتيوس نحو الصخر المستعصى على الة الحفر وطلبا من العمال ازالة الاتربة والغبار من عليه وكدلك يطلبا غسل المكان التصدر لالة الحفر بالماء حتى يتضح جليا ما الامر ، ليفاجئا ان الماكينة قد اصطدمت بجدار جرانيتى اسود اللون وشفرات الة الحفر قد أحدثت بعض الخدوش به دون القدرة على اختراقه ، اخذ ماتيوث يضع يده على ذلك الحائط الجرانيتى ونظر إلي ماتيوث وعينه تبرق دهشة وفرحا ، والذهول مسيطر عليه

-- ماردينى اترى ما ارى ! انه جرانيت !!

-- نعم يا ماتيوث اظن ذلك ، ويبدوا انه جزء من شيء ما ربما تابوت او تمثال ، اسمع يا ماتيوث اظن انه علينا ان نوقف العمل الان ونخبر الطرابلسى وبقية المجموعة بالامر .

... بالفعل يقوم المهندس ماردينى بإيقاف عمليات الحفر ويصرف العمال ، ويفصل الاضائة عن النفق ويترك كل شيء كما هو ، ويسارع بإبلاغ الطرابلسى ، وما ان يسمع الطرابلسى بالخبر من ماردينى حتى يصاب بحالة من الفرح والنشوة الشديدة ويبلغ اصدقائة الايطالين مومبينو وباجيو تليفونيا بان عليهم الحضور للقاهرة لامر هام دون ان يستفيض فى الشرح خوفا من المراقبة التليفونية ، وكذلك اخبر اصدقائه المصريين بان عليهم الاجتماع بصورة عاجلة ، وبشكل متقاطر وفي غضون الساعة يحضر مصطفى والدكرورى وحمزاوى إلي مكتب الطرابلسى والذى يعقد معهم اجتماع عاجل ، والفرحة الممزوجة بالدهشة تعلو وجه الطرابلسى ، ويبدأ الطرابلسى بنبرة مغمورة بالسعادة يشرح لهم مانقله اليه ماردينى وهو ما يدل على انا الامر بالفعل يبشر بكنوز عظيمة او ربما مدينة كاملة لم يكشف عنها النقاب منذ الاف السنين ، وحاليا عليهم الاستعداد للجزء الثانى من الخطة وهو كيفية تجهيز مكان امن لتخزين ما سيتم إخراجه من كنوز حيث من المفترض ان يجدوا كميات ضخمة من الاثار ، وان الجانب الايطالي سيتولى بقية الجزء الفني من استكمال الحفر والدخول إلي المكان ، ويطلب الطرابلسى من حمزاوى البحث عن مكان امن بعيد عن اى مصدر شك ، ويفضل خارج حدود

محافظة الجيزة التي يقع بها مكان التنقيب تحسبا لاى خطر يتعرضون له حتى تكون الغنيمة فى مامن ، ويخبره حمزاوى بان اقرب مكان لمحافظة الجيزة اما القاهرة شمالا او بنى سويف جنوبا ، والجميع يرفض القاهرة لكونها العاصمة ومكان حيوى ويقبلوا بتجميع الاثار المحتملة في محافظة بنى سويف فهى محافظة ريفية ويغلب عليها الهدوء ، ويكلفوا حمزاوى بالبحث عن مكان امن داخلها والأفضل ان تكون قرية صغيرة امعانا في السرية ، ويخبرهم حمزاوى بان لديه بعض الرجال الذين يستعين بهم فى التنقيب من محافظات مختلفة ومنهم من يقطن فى بنى سويف ويمكنهم تجهيز مكان امن ببلدتهم وسيتواصل معهم ويرى المكان الانسب . وفى اليوم التالى مباشرة حضر باجيو ومبيبنو للقاهرة واطلعهم على مستجدات الامر وطلب منهم التواصل مع من يمكنه شراء الاثار المحتمل وجودها .

.. ورأى الفريق الايطالى ان عليهم الان التعديل في خطة الحفر نظرا لذلك الحائط الجرانيتى الذى تصدى لالة الحفر ، وجرت المناقشات حول ذلك الجدار هل هو جزء من سور محيط بالمكان ام هو جزء من مقبرة ، ام يكون خلفية تمثال ضخم ليس الا ، واخذوا يعددون الاحتمالات الممكنة عن طبيعة ذلك الجدار، وكيف سيعبروه والالة لم تستطع ان تخترقه ولو وصلوا لطريقة لاختراقه فمن المؤكد انهم سيفسدوه أيا كانت حقيقتة تمثالا او سورا او جزء من مقبرة، ام الأولى محاولة الالتفاف اسفله او أعلاه وهذا سيتطلب زيادة قطر النفق والتوسع

فيه ، وراو ان الأفضل زيادة قطر النفق للمحافظة على هذا الجدار أيا كان ماهو ، ورغم زيادة التكاليف الا انه بدا للكافة ان العائد فوق الخيال ، ثم اقترح عليهم ماردينى فكرة طرأت عليه قد تستخدم لاستكشاف ما وراء الجدار باقل التكاليف ، وهى احداث ثقب في الجدار بقطر خمسة او عشرة سنتيمتر ويروا إلي اى عمق سيصل وهذا اسرع في النتائج واقل في التكلفة ، وسيستخدم طريقة يتم اللجوء اليها عند محاولة اختراق الصخور الصلبة وهى طريقة التسخين والتبريد للصخر حتى يعملوا على تفكيك جزئياته.

وان لم يستطيعوا الرؤية بالعين المجرده يمكن الاستعانة بروبوت وارساله للداخل ، ونزل الجميع على هذا الراى واستحسنوه، ومع صبيحة اليوم التالى قام ماردينى وماتيوث بالبدأ فى محاولة اختراق الجدار بطريقة التبريد والتسخين ، فقاما بتسليط النار على الجدار ثم مباشرة عقب التسخين يقوما برشه بالماء ، وبقيا هكذا من الصباح حتى قبيل الظهيرة إلي ان بدأ الجدار تظهر فيه الشقوق ، عندها امر ماردينى العمال ان يستخدموا مثقاب الصخر والذى بدأ بالفعل يخترق الصخر ، وبدأت الطريقة تؤتى ثمارها وأحدثوا ثقب بقطرعشرة سنتيمتر واخذوا يخترقو الجدار شيئا فشيئا إلي ان وصل العمق بالجدار تسعون سنتيمتر ليفاجئوا بعدها بتيار هوائى شديد يندفع نحوهم من الجهة المقابلة للجدار ، وما ان استنشقوه حتى بدأوا في الترنح والشعور بالدوار ، واخذوا يركضون للخلف باتجاه الجانب الاخر حيث فوهة الدخول للنفق ، الى ان وصلوا لبداية النفق

منهكين واصابهم الاعياء ، ورأوا ان يتركوا النفق طيلة أسبوع او عشرة ايام حتى يمكنهم الدخول واستكشاف الامر ، وخلال تلك الفترة سافر ماردينى وباجيوا إلي إيطاليا وتم شراء روبوت صغير الحجم مزود بكاميرا تعمل بالاشعة تحت الحمراء للرؤية فى الظلام ويفى بالغرض المطلوب ، ثم عاودوا الدخول مرة أخرى إلي النفق بعد أسبوعين والذى بدا انه الان افضل كثيرا للدخول فيه فتيار الهواء بدا اقل حدة ، وبدأو بالاقتراب من تلك الفتحة بالجداروحاولوا النظر من الثقب وكلما نظر احدهم من ذلك الثقب لا يرى شيئ فقط ظلام دامس، واستقروا على ارسال الروبوت إلي الداخل.

وبالفعل بدأ الفريق الايطإلي فى ارسال الروبوت والمصريين كلهم حاضرون لتتبع حركة الروبوت داخل الطرف الاخر من ذلك الجدار الجرانيتى ، وضع ماردينى اللاب توب الخاص به على طاولة وجلس على كرسى وبجواره ماتيوث يتابعا حركة الروبوت عبر فتحة الجدار وكلهم يقفون حوله ينظرون الى حركة الروبوت ، وما ان انهى مسافة التسعين سنتيمتر وهى مسافة سمك الجدار حتى انقطع الاتصال ، وبدأوا ينظرون إلي بعضهم البعض والخوف والقلق يراودهم ، وحاول ماردينى مرارا ان يتواصل مع الروبوت ، ولكن بلا فائدة ، نظر ماردينى اليهم وهم واقفون حوله ، واخبرهم بان الاتصال انقطع مع الروبوت بمجرد ان انهى مساره داخل الجدار ، فالجدار سمكه تسعين سنتيمتر وتلك هى المسافة التى قطعها الروبوت ثم انقطع التواصل معه.

وحاول ماردينى وماتيوث مرارا التواصل مع الروبوت دون جدوى ثم اخبر ماردينى الحضور بانه لا امل فى التواصل مع الروبوت فقد انقطع االتواصل معه تماما

... اخذ الجميع ينظر لبعضه البعض بصمت ، فاعاد عليهم ماردينى الامر بانه فعل كل ما يستطيع بلا جدوى ، إلي ان احتد عليه الطرابلسى مطالبا اياه بالبحث عن حل .

-- نظر اليه مردينى وعقب على كلامه بان هناك يوجد حل ولكنه ينطوى على خطورة ، فسارع الجمبع بعد الصمت الممتزج بالحيرة سائلين ماردينى وما ذاك الحل ، ليقترح عليهم زيادة قطر الجدار حتى يتسع لان يدخل منه شخص ويتطوع احدهم بالخول عبر الجدار ، عاد الصمت المطبق مرة أخرى إلي الجميع ، والكل ينظر إلي الكل ، ولم يجرؤ احد على التطوع بالدخول ورفض العمال ايضا المجازفة والدخول للجانب الاخر ، واستقروا ان ينهوا الامر الان إلي ان يجدوا حلا اخر او يجدوا من يتطوع ويمر عبر الجدار

****

الاخطبوط والفريسة

... خرجوا جميعا بلا اتفاق على متطوع من بينهم فالكل يخشى المغامره وما يحدث الى الان البعض منه مبشر ولكن البعض منه مخيف ايضا ، مرت عدة ايام ولم يجدوا حلا او من يغامر ويعبر الجدار فخطر على بال الطرابلسى فكرة الاستعانة بشخص شغوف بالامر وقد يساعدهم أيضا بما لديه من معلومات او اقتراحات ولكن كيف يخبره بامر كهذا انه سفيان صديق ابنه مروان ايام الدراسة والذى كان شغوفا بالتاريخ والاثار، ولكنه لا يضمن ردة فعله فربما انهار كل شيء لو رفض بعد علمه بالامر ، وحينها يكون سرهم قد افتضح ، واجتمع بشركاؤه المصريين وعرض عليهم الفكرة وما ان اطلعهم على ما يدور بخلده حتى قام حمزة الفقى محتدا عليه بانه سابقا اجبرهم على دخول اصدقائه الايطاليين فى العملية واليوم تريد ان تاتى لنا باخر ، وبادله الطرابلسى بحدة مماثله وعلت نبرة صوته وقام فيه مهاجما بانه لولا هؤلاء الشركاء لما استطاع ان يصل الى ما وصلوا اليه الان فقد اصبحوا قاب قوسين او ادنى من الوصول للهدف المنشود ، فهم من خططوا ونفدوا وما الا ممولين ، فتدخل مصطفى الصاوى مهدئا الطرابلسى وموضحا ان الدكرورى يخشى افتضاح الامر مع هذا الوافد الجديد ونحن نشاركه تلك المخاوف ، فحاول الطرابلسى التخفيف من مخاوفهم بانه سيحاول الوصول اليه وسيرى ردة فعله بشكل غير مباشر ولن يفاتحه فى شيء

الا اذا اطمئن لقبوله العمل معهم واستقروا فى النهاية ان يبدأ الطرابلسى في محاولة استكشاف ظروف سفيان وافكاره وهل من الوارد موافقته للاشتراك معهم ام لا ، وكيفية التعامل معه ان علم ورفض ،

... وبدا الطرابلسى يسأل ابنه مروان عن صديقه سفيان ، ويخبره مروان انه من بعد الدراسة لم يعد يعرف عنه الا القليل فكل ما لديه من اخباره انه يعمل مدرس تاريخ بالتعاقد السنوي والظروف الماديه معه على غير ما يرام فهو يعمل كحارس امن ايضا ليلا لتوفير نفقاته ، ويطلب الطرابلسى ان يسال عن صديقه ويخبره انه ان كان في حاجة إلي فرصة عمل فيمكنه ان يذهب اليه بشركته وسيساعده ، وبالفعل يتصل مروان على صديقه ويخبره انه يمكنه ان يجد فرصة عمل لدى اباه ان لم يكن مستريح بالعمل الذى يعمله الان ، وما ان علم سفيان بالعرض حتى تشبث به مخبرا مروان بانه بالفعل في حاجة لعمل افضل من هذا واخذ يعدد له ضعف العائد المادى من العمل بالتدريس وسوء المعاملة من مدير المدرسة والظروف السيئة، واستعد سفيان للذهاب إلي الطرابلسى وأخده مروان إلي مقر شركة ابيه ، بشارع طلعت حرب في وسط القاهره ، وصعدا اللى مكتب ابيه ودخلا عليه فرحب بهما الطرابلسى وأعطى سفيان الجانب الأكبر من الترحيب ، واخذ يسأل عن احواله وطبيعة عمله الحالي وسفيان يصف عمله باسوء العبارات وكيف ان العائد ضعيف والمعاملة سيئة، وحالته النفسية أصبحت أسوء من اى وقت مضى ، فهو لم يستطع الزواج بسبب ضيق ذات اليد،

وقد توفيت امه واصبح يعيش منفردا مع ابيه ، واخذته العبرة وهو يتحدث ، فقام الطرابلسى واخذ يربت على كتفه مهونا عليه الامر وانه سيعمل على إيجاد فرصة عمل له واخد يردد بينه وبين نفسه " يبدوا ان الامر قد انفرج " ثم طلب من مروان ان ينصرف ويتركه مع سفيان ليتحدث معه في أمور تخص نظام العمل بالشركة وكيف يتاقلم مع نظام العمل ويتركهم مروان وينصرف وعلى الفور يتصل الطرابلسى بسارة السكرتيرة ويطلب منها الا يدخل عليهم احد ، ويبدأ في الحديث لسفيان

--- كان يفترض ان تكون ملتحقا الان بعملا يغنيك ويكفيك يا سفيان ولكن لا بأس الفرصة لم تضع بعد .

- قد حاولت كثيرا ولكن دون جدوى ولم اجد سوى العمل فى التدريس بعقد سنوى وراتب لايسمن ولا يغنى من جوع

---هل تعلم يا سفيان انى بحكم سفرى للخارج كثيرا ارى العديد من الشباب حين تتازم الامور امامه مثلك هكذا ، يعمل باى شىء سواء مشروع او غير مشروع ، فهو مضطر .

- نعم يا فندم اعلم ذلك ، ولكن لدى بعض المبادىء والقيم تعودت عليها منذ صغرى تقف حائل بينى وبين اقدامى على مثل تلك الامور

--- وبما ستنفعك تلك المبادىء والقيم وانت على حالك هذا ؟؟؟

- نعم ربما يكون كلامك صحيح ي ، ولكنى اعتبر عملى بالتدريس رسالة رغم ظروفى القاسية .

وحين راى الطرابلسى ان سفيان متاثر بالقيم والمبادىء والكثير من الامور التى لا يؤمن هو بها ، بدأ يوهمه ان العمل ليس معه وانما لدى صديق له ، وهذا الصديق تحوم حوله شبهات بانه يعمل فى تهريب الاثار ، وان قبل العمل معه سينال الكثير من المال ، وان لم يكن يريد فالامر يعود اليه بالموافقة او الرفض ، واخذ يقنعه بان ذلك العصر لم يعد يتماشى مع تلك القيم والمبادىء التى يتمسك بها سفيان ، ومع محاولات الطرابلسى من جهة وظروف سفيان التى تضغط عليه سرح لبرهة وجال بخاطره ما يحياه من ظروف أليمة وحياته التي يوما بعد يوم يشعر بانها بلا قيمة ودنياه الضنك وامه التي توفت ولم تراه على حال جيد ، ومديره في العمل الذى يعامله معاملة العبد ، وحياته التي أصبحت من امامه سد ومن خلفه سد ، وضيق ذات اليد الذى يحياه ، والتقط سفيان الرسالة وعلم انه سيعمل بتهريب الاثار ، ولم يفق من سرحانه الا على صوت الطرابلسى ،

-- سفيان اين انت ، مالي اراك لست هنا ؟!!!

... ينظر سفيان إلي الطرابلسى منتبها اليه .

-- معك يا فندم معك ، ولكن الا يوجد خطرا على من ذلك العمل ؟؟

-- كلا يا سفيان اطلاقا لا توجد اى خطورة ، فانا رغم كونى صديق له ولكنى لا اعلم يقينا ان كان الكلام حول عمله بالاثار حق ام لا ، وانا عن نفسى ارى ان الموضوع لا غبار عليه

-- كلا يا فندم كلا ، يبدوا ان الامر ليس غبار فقط ، اظن انه ركام ، سيدى قد فهمت المطلوب منى ولكنى اخشى ان يصيبنى ضرر ،

... اخذ الطرابلسى يشرح لسفيان كيف ان الامر مؤمن جيدا ولا خطورة من شيء ، دون ان يفصح له انه مشارك رئيسى في العمل وانه العقل المدبر ، وحاول سفيان ان يفهم طبيعة العمل الذى سيقوم به ، وتهرب الطرابلسى منه واخبره انه سيعرف كل شيء في حينه . وانصرف سفيان على انتظار الاتصال به لبدأ العمل .

****

السرية المطلقة

... تواصل الطرابلسى مع الدكرورى ليعرف ما الذى وصل اليه في امر المكان النائى الذى سيتم تخزين الاثار المستخرجه فيه ، وعلم منه انه راى مكان في جنوب محافظة بنى سويف بمركز ببا في احد القرى الزراعية وقام بشراء بيت كبير بها يكفى لتخزين كميات ضخمة اذا لزم الامر ، وذهب الطرابلسى مع الدكرورى إلي تلك القرية ليتفقد المكان وبالفعل وجد المكان هادئ ونائى ولا يخطر ببال احد ان يكون هنا شيء ، فالقرية محاطة بالزراعة من كافة جوانبها وأهلها يعملون بالزراعة ولا يوجد بها من مظاهر الخدمة العامة سوى مكتب بريد ووحدة صحية متهالكة ، وبعد ان نال المكان اعجاب الطرابلسى ، أخبر الدكرورى ان سفيان قد وافق على العمل ولكنه ينبغى ان لا يعرف ان الطرابلسى مشارك لهم ، نظرا لكونه صديق لابنه ، وعائلة الطرابلسى لا تعرف عنه سوى انه رجل اعمال وان عرف سفيان انه يعمل بالاثار فالاكيد انه سيخبر ابنه مروان لكونهم اصدقاء ، وطلب من الدكرورى التعامل المباشر مع سفيان ، ليخبره بما هو مطلوب منه تحديدا وهو الدخول عبر فوهة الجدار بالنفق ، وثانى يوم عودتهم من بنى سويف أتصل الطرابلسى بسفيان وطالبه بالذهاب إلي الدكرورى للاتفاق على العمل معه ، وبالفعل فى اليوم التالى مباشرة يذهب سفيان إلي مكتب الكرورى الذى يرحب به ويمعن فى الاحتفاء به ويجلس معه

ليبدأ الدكرورى فى محاولة شرح طبيعة العمل قائلا :

– اسمع يا سفيان قبل ان اشرح لك طبيعة العمل او ما هو المطلوب منك اهم ما يعنينى فى العمل يا سفيان هو السرية ، والسرية المطلقة ،

... بنظرة يملاؤها الرضوخ للواقع ، وتنهيدة عميقة يومأ سفيان براسه موافقا ومستجيبا لما يريده الدكرورى منه وانه على استعداد للقيام بما هو موكلا اليه

-- يا فندم انا لا ادرى تحديدا ما هو عملى ولكنى موافق ايا كان نوع العمل فأنا أشعر وكانى فى دوامة لا استطيع توفير الحد الادنى من المعيشة الكريمة ، ولم استطع ان اتزوج إلي الان واشعر كأنى شيء على الهامش فى تلك الحياة كلا ليس الهامش بل هامش الهامش ، لا تشغل بالك بامر السرية فرغم احساسى اليقينى بان العمل به ما يريب الا اننى لا اخون ، ، وانا بالفعل بدات استسلم للواقع الذى احياه ، فما ارجوه اعلم يقينا انه لن يتحقق ، والواقع لن يتغير انا موافق على العمل معك يا فندم ، فليس لدى خيار اخر. ،

" يبتسم الدكرورى وينظر الى سفيان وقد ازداد ثقة واطمئنان "

... استمع إلي جيدا يا سفيان ، انت معى ستنغير حياتك مائة وثمانين درجة من النقيض للنقيض ، ولكن هناك امرا يجب دوما تجعله صوب عينيك ، الغدر او الوشاية وكشف اسرار العمل معناه انك تغامر بعمرك وحياتك ، اعمالنا

يشترك فيها اناس كثيرة العدد وثقيلة الوزن ولن يسمحوا باحد يفسد عليهم مصالحهم ، تذكر مقولتى تلك جيدا يا سفيان ، الغدر معناه الموت ، اتفقنا .

نظر اليه سفيان ، وهز رأسه موافقا ، وبعينه الاسى لموافقته على العمل معه

اخذ الدكرورى يربت على كتفه مطمئنا اياه بانه طالما يعمل معه باخلاص فلا خوف عليه ، وسيرى من جراء هذا العمل الخير الكثير وشرح له العملية والمطلوب منه تحديدا ، ليفاجأ بدهشة واستغراب سفيان ، وان هذه فكرته وهو صاحب هذا الاقتراح وسبق ان اخبر به الطرابلسى حين كان يزور ابنه مروان ايام الدراسه ، وهنا تنتقل الدهشة إلي الدكرورى من كلام سفيان عن هذه العملية والمامه بها بشكل مزهل ، ويبادر سفيان بسؤال الدكرورى عن مدى علم الطرابلسى بتلك العملية ، وينكر له الدكرورى معرفة الطرابلسى بهذا الامر ، وينتاب سفيان مشاعر مختلطة بين حزنه على قبول مثل ذلك العمل ، وبين فرحته لرؤية فكرته قابلة للتحقق والتاكد منها ، وقبل خروجه من مكتب الدكرورى يعطيه الدكرورى ظرفا به ثلاثة الاف دولار ويخبره ان يشترى لنفسه ما يلزم من احتياجات للاعتناء بمظهره ، ولا يظهر على سفيان الفرحة وينظر للظرف فى يد الدكرورى للحظات ثم ياخده فى صمت وينصرف ، وتم الاتفاق على ان يرسل له الدكرورى صباحا سياره تقله الى مكتب الدكرورى ثم يتوجها سويا إلي النفق ، ومع تمام العاشرة صباحا فى اليوم التالى تذهب إلي سفيان سيارة لتقله إلي موقع النفق ، ويدخل سفيان مترجلا مع الدكرورى حتى يصلا إلي اخر النفق ، ويجد

هناك المهندس ماردينى وماتيوث والعديد من العمال ، ويرى سفيان امامه ذلك الجدار الجرانيتى وبه الثقب الذى مر منه الروبوت ، ويشرح له ماردينى قصة الجدار وذلك الثقب وكيف ان الروبوت اختفى بعد ارساله للداخل ، ونظر سفيان من الفتحة بالجدار فلم يستطع رؤية شيء فقط ظلام دامس مع تيار هوائى بارد من الطرف الاخر ، وبعد ان بدات تذهب عنه دهشت الموقف وهول العمق الذى اصبح اسفله ، واخذ يستوعب الامر حوله ، نظر إلي ماردينى وقال له

-- حضرتك المهندس المشرف على الحفر ، اليس كذلك ؟؟

-- نعم

-- يؤسفنى ان اخبر حضرتك بانه من المنطقى والطبيعى ان الروبوت يختفى ولا يظهر له اثر ، هل تدرى لما ؟؟

--كلا لا ادرى ، لما ؟؟

-- لانه ببساطة نزل في هوة من الجانب الاخر من الجدار ، لن تقل عن عشرين مترا على الأقل .

... بدأ ماردينى وماتيوث والدكرورى ينظرون إلي بعضهم البعض بدهشة واستغراب من كلام سفيان ، والذى بدى منه انه يعلم شيء خفى عليهم ، ثم تابع سفيانه حديثه نحو ماردينى سائلا إياه بتهكم .

--- اعتقد انكم بداتم التنقيب هنا دون دراسة للمكان ؟؟

--كلا ان معنا خرائط للمكان ، وبناء على تلك الخرائط لم يتبقى لنا سوى قرابة الخمسمائة متر للمكان المستهدف ، و نصبح اسفل التمثال مباشرة

-- خرائط للوصول للمكان فقط ؟؟!!

-- كلا ومعنا خرائط لشبكات المرافق فى باطن الارض ، وكذلك بيانات عن مستوى المياه الجوفية ؟؟

-- سيدى الفاضل يؤسفنى ان اخبركم انه ينقصكم اهم معلومة لم تنتبهوا اليها .. بشكل متلهف سأل الدكرورى " اى معلومة تلك يا سفيان " ؟؟

.. – اين حسابات معدل تراكم الرمال ، حتى تتوقعوا عند اى عمق يمكنكم ان تجدوا الممرات الموجوده اسفل المكان ..

.. نظر الدكرورى إلي ماردينى بامتعاض ولوم ، والذى بدوره تصبب عرقا ولم ينطق ، ثم طالبهم الدكرورى بالخروج من النفق والذهاب إلي مكتبه ليكملوا حديثهم هناك .

ونظر له ماردينى قائلا :

-- ولما لا نذهب إلي مكتب الطرابلسى مباشرة حتى يكون ملما معنا بالمشهد كاملا

... تفاجأ سفيان عند ذكر سيرة الطرابلسى ونظر إلي للدكرورى والذى بدا عليه الارتباك ، ولم تسعفه بديهته برد مناسب ، وبنظرات زائغة نحو سفيان سارع بالقول :

-- سأشرح لك كل شيء يا سفيان ، ساشرح لك ولكن دعنا ننصرف الان

... ثم نظر الدكرورى إلي ماردينى بعيون تطلق سهام الغيظ وهو يجز على اسنانه قائلا :

... كلا سندهب الى مكتبى انا

... ورأه سفيان وقرأ نظرة اللوم والضيق فى عين الدكرورى نحو ماردينى ، فهز راسه بامتعاض وسكت ، وبدأ يفهم ان الطرابلسى له يدا فى تلك العملية وانطلق الأربعة ماردينى وماتيوث والدكرورى وسفيان ، خارجين من النفق نحو مكتب الدكرورى ليروا ماذا سيقول لهم سفيان .

... فى مكتب الدكرورى جلس الاربعة ، وبدأ سفيان يشرح لهم الاحتمال الاقرب والاصح لما هو خلف الجدار ، حسبما يتوقع وما قام به فى بحثه ، وان هناك شبكة من الممرات موجوده بهذه المنطقة خلف الجدار ولكنها على مستوى اخفض مما حفروا نظرا لزيادة تراكم الرمال على مدار الاف السنين، وحسب الدراسات والبحث الذى قام به تكون تلك الممرات على عمق ما يقرب من اربعون مترا من سطح الارض الحالي ، وبما انهم فى النفق على عمق عشرون مترا اذا متبقى مسافة حولي عشرون مترا اخرى وهده هى المسافه التى وقع فيها الروبوت لذا فقدوا الاتصال به لانه فى الغالب تضرر بشدة جراء السقوط، والامر بالفعل بحاجة لان يدخل احد ويستكشف الامر وهو موافق على الدخول وبدأ الجميع ينظر إلي سفيان نظرة اجلال واكبار ، والجميع اعتلته الفرحة،

واخبرهم سفيان انه سيذهب إلي بيته ويراجع بحثه مرة اخرى ، وطلب سفيان من ماردينى وماتيوث العمل على زيادة قطر النفق إلي ستين او سبعين سنتيمتر فدلك القطر كفيل ان يمر من خلاله الى الجانب الاخر . وانفض الاجتماع وانصرف ماردينى وماتيوث وبقى سفيان مكانه ولم ينصرف ، وعلم الدكرورى انه سوف يسأله عن الطرابلسى ومدى علاقته و تدخله فى تلك العملية ، وبطريقة متوترة يستأذنه الدكرورى للخروج لعدة لحظات ويعود اليه ، وبشكل مباغت امسك سفيان بيد الدكرورى من معصمه مطالبا اياه بالانتظار ، فالتفت اليه الدكرورى بغضب من جراته فسارع سفيان بالقول

" نحن اليوم شركاء فانا اعمل معك وليس لديك " تمالك الدكرورى نفسه وافلت يده من قبضة سفيان واخبره بان لحظات ويعود اليه وخرج من المكتب ، ليتصل بالطرابلسى ويشرح له ان ماردينى تلفظ باسمه امام سفيان وان أمره انكشف امام سفيان ، فهاجت ثورة الطرابلسى واخذ يكيل للدكرورى الاهانات وانه كان ينبغى عليه ان يشرح لمردينى وماتيوث بان يكونا على حذر ، وعليه الان الا يحادث سفيان بأى شىء ويدعه يذهب وهو سيتولى بنفسه امر سفيان ومعالجة الامر ، عاد الدكرورى إلي سفيان وهو يحاول ان يتصنع الهدوء ويخفى توتره وجلس امامه قائلا :

.. اعلم يا سفيان انك تريد ان تسالنى عن علاقة سرحان الطرابلسى بهذه العملية اليس كذلك ؟؟

.. – نعم هو ذاك ما اريد ان افهمه .

--هو سيشرح لك الامر بنفسه يا سفيان ، ويجيبك على كل ما تريد

-- نظر اليه سفيان وحدق فيه ثم نهض واقفا واخذ يتنهد بعمق وقال :

-- حسنا فليخبرنى هو ، وان كان الامر لن يختلف عما افهمه الان فكل شىء اصبح جليا

.. – وماذا عن العمل بيننا يا سفيان واتفاقنا ؟؟

... فاخذ يتحسس رقبته امام الدكرورى فى رسالة فحواها انه يعرف معنى تراجعه الان .

-- لقد تورط وانتهى الامر ، بمجرد ان تنتهوا من زيادة قطر الفوهة بالجدار ، يمكن ان تخبرونى .

****

ذراع الاخطبوط

.... انصرف سفيان من مكتب الدكرورى فى حالة اشبه بالثمل من كثرة الشراب ، يجر اقدامه للسير ويجهد عقله ليساعده على استيعاب تلك المفاجأه فالطرابسى بدا انه عضو مافيا عالمية بل هو كبيرهم الذى يلهمهم الفكر ، والكل يدين له بالولاء منهم من يواليه نفاقا لينال من خلفه دنيا ، ومنهم من يواليه لتشابه فى الارواح فهم يرونه العقل المدبر والرجل المؤثر ، بدونه تسقط المنظومة ويصبح الكافة فى خطر فكل القرارات تتم من خلاله ، ورأى سفيان نفسه اصبح جزء من تلك اللعبة الخطرة والتى لايمكنه الان الرجوع عنها والا حياته هى الثمن فالامر اصبح كمن يسبح فى ماء عكر اما ان تسبح فتحيا وانت تتأفف و تتوقف فتغرق ، ورن هاتفه وهو على تلك الحالة واخذ يتحسس جيوبه باحثا عن الهاتف فقد اصبح فى حالة يرثى لها ، وكان الطرابلسى هو المتصل ، واخبره انه بانتظاره غدا فى الفيلا ، اخذ سفيان يخرج من حالة الدوار التى يحياها وتذكر سمية بنت الطرابلسى وبدأت روحه تنتشى ثم قال لعلها تزوجت الان ولديها عائلة واولاد ، حسنا غدا نعرف كل شىء ، واسرع الخطى إلي البيت واستعد ببدلة انيقة وهيئة حسنة وانتظر إلي الصباح ويملاؤه الشوق الى معرفة اخبار حبيبته القديمة وما فعلتها معها الايام ، وما ان حلت الساعة العاشرة من صباح الغد الا وكان امام باب الفيلا يطلب مقابلة الطرابلسى.

واخذه الحارس إلي مكتب الطرابلسى الذى كان بانتظاره ، فرحب به وبدا الطرابلسى هادىء وبيده السيجار فى نفس الصورة التى اعتاد سفيان ان يراه بها مند كان ياتى هنا ايام الجامعة لمقابلة صديقه مروان ، ورحب الطرابلسى بسفيان وكان شيئا لم يحدث ، واخذ يثنى على اناقة سفيان ومدى جودة ذوقه فى اختيار ملابسه ، وسفيان مكتفيا بالابتسام ورد التحية بالشكر ، ثم سال سفيان مباشرة :

.. – سفيان ، انت تريد ان تعرف مدى علاقتى بتلك العملية التى عرفتها اليس كدلك ؟؟

– نعم

— حسنا ، استمع إلي يا سفيان وانتصت جيدا ، انت الان رجل مثقف ومتعلم وتدرك الكثير ، ولكن هل من الممكن ان تخبرنى ماذا جنيت من وراء كل ذلك ، فحياتك مرة ، وعيشتك ضنك ، وحين تنظر إلي من هو فوقك تتحسر على حالك ، يا سفيان الحياة فرص اما ان تقتنص واما ياتى غيرك يقتنص ، المستوى الذى ترانى فيه وصديقك مروان يحيا فيه ما كان لى ان اناله او اجعل مروان وسمية يتمتعوا به لو بقيت بطريقتك التى تحياها انت ، فاستشعر سفيان ان سمية لم تزل تقيم مع ابيها ولم تتزوج بعد

... وحاول الطرابلسى ان يبرر لسفيان سبب انخراطه فى هذا العمل لكى يحيا بمستوى راق ، وكذلك يحاول ان يقنعه بان يعمل معه وسيتغير حاله للافضل وان تلك فرصة ينبغى ان يتمسك بها ، ويمكن ان يكون له دورا اكبر فى تلك

العملية على ان يساعدهم بما لديه من ابحاث ورؤية للامر بل يمكن ان يجعله يده اليمنى فى تلك العملية وغيرها من العمليات التالية وانه سيصبح " ذراع الاخطبوط " وسيجعله مع ماردينى هما المسؤلين عن العمليه الحالية من الناحية الفنية واخذ الطرابلسى باسلوب الحية الرقطاء يزحف شيئا فشيئا حول مبادىء سفيان التى يؤمن بها ويغرس انيابه بتلك المبادىء و بدا سمه ينفذ ويحدث الاثر المطلوب ، فالرجل متمرس فى الاقناع والمفاوضات ، ولم يخلوا كلام الطرابلسى من اشارات مبطنة بالتهديد حال الغدر والوشاية من سفيان وهذا سيترتب عليها دفع عمره ثمنا ، كل هذا وسفيان ينظر ويستمع بلا تعقيب إلي ان انهى الطرابلسى كلامه ، فساله سفيان

– اذا انت ترى ان مثل ذلك العمل هدا لا يعيبنى ؟!

– كلا بالطبع يا سفيان ، لا يعيبك ، لقد اخبرتك ، ان الحياة فرص والماهر يقتنص

– اذا هل يمكننى ان اطلب منك طلب ؟

.. – اتفضل

.. – اريد خطبة ابنتك سمية .

.... نظر الطرابلسى إلي سفيان باستغراب ودهشة ، وصمت لبرهة كمن يستوعب الكلام ، وتعجب من طلبه ، ثم اخبره بانه رغم تفاجأه من طلبه هذا الا انه يتشرف به طبعا ولكن امرا كهذا ينبغى ان يحادث ابنته فيه اولا ، وعليه ان يتركه حتى يفكر بالامر مع ابنته ، وان هذا امر لا يتعارض مع عملهم سويا ، وابدى له سفيان تفهمه ان العمل شيء وامر الارتباط شيء اخر ثم وبنظرة حادة ولهجة بدا منها دلك الرجل انه بالفعل اخطبوط نظر الى سفيان قائلا :

" سفيان ان أسرتى لا تعلم عن امر الاتجار بالاثار شيء هل تفهمنى ؟"

بابتسامة مصطنعة اجابه سفيان " اعى هدا جيدا "

وانصرف سفيان من عند الطرابلسى وقد احيا امر سمية فى نفسه مواطن شوق كانت قد كبتت منذ راها اخر مرة فى الفيلا هنا ولم يعبأ كثيرا بما قاله الطرابلسى فقد كان قلبه متغلب على عقله ، وبعد انصراف سفيان بقى الطرابلسى جالسا فى مكتبه واشعل سيجارا ، واسند راسه للخلف وبدأ يتفكر كيف يستثمر امر خطبة سفيان لابنته سمية ، ورأى ان موافقته على تلك الخطبة ربما تؤمن له بقاء سفيان فى قبضة يده إلي ان تتم العملية على الاقل ، ثم يقوم بفسخ الخطبة .

****

الخطبة

...مع حلول مساء اليوم التالى وبعد عودته من العمل طلب الطرابلسى ابنته سمية لتجلس معه في حديقة الفيلا وفاتحها بطلب سفيان خطبتها واخذ يعدد له مزاياه وكيف هو شابا طموح وذو ثقافة واطلاع وان لم تتاقلم معه فلها ان تفسخ الخطبة فيما بعد فلاذت سمية بالصمت المقرون بالخجل ، ورای ابيها القبول فى عينيها ، وظن الطرابلسى ان كلامه واسلوبه قد استمال قلب سمية نحو الموافقه دون ان يدرى انها كانت تهوى الامر منذ رات سفيان في الجامعة وما ان علم سفيان بامر موافقة سمية وكان الدنيا انارت فى وجهة ، وروحه ردت فى بدنه ، وزال عنه الكثير من الهم الذى لازمه فترة طويلة ، ودعاه الطرابلسى فى اليوم التالى ليجلس معه بالفيلا ، ويتفقا على اجراء مراسم الخطبة ، وحضر سفيان والفرحة تغمره وجلس مع الطرابلسى فى حديقة الفيلا ، ثم ارسل فى طلب ابنته سمية لتجلس معهم ثم قام وتركهم كى يتقاربوا و يتحدثوا ، واخذت سفيان مشاعر مختلطة بين الفرحة والارتباك وكذلك سمية اخذ الحب والخجل يتناوبان في نظراتها ، وشيئا فشيئا نما القرب بيهما وحاول سفيان ان يبدى لها ما يكنه من محبة :

--هل تدرى ايا سمية أنه منذ رايتك اول مرة اخذتى شغاف قلبى وتمنيت لوتصبحى من نصيبى

--ولما لم تصرح لى بذاك

-- ليس دوما يملك احدنا الحرية ان يتحدث عما يجيش في صدره ، فيكون الصمت ملاذه

--اما انا فمنذ رايتك جعلت الشعر ملاذى لاكتب ما يجيش به فؤادى

،، نظر سفيان اليها وغرورقت عيناه بالدمع ، مستغربا ان ذاك الشوق له كان بقلب سمية وهو لا يدرى ، مما زاده بها شغفا ، وهى كذلك اصبح لها سفيان ملء السمع والبصر .

****

ماذا خلف الجدار

... اجتمع كلا من الطرابلسى وسفيان وماردينى وماتيوث بالنفق ليتابعوا الخطوة المقبلة وهى الاستعداد لدخول سفيان من الفوهة التى زاد قطرها واصبحت ستين سنتيمتر ولكنها لم تكشف شيء عما خلفها فقط ظلام دامس ، وطلب سفيان زيادة القطر مرة الخرى الى سبعين سنيمتر نظرا لاصطحابه بعد الادوات معه كالاربطة او انابيب الاكسجيين ان استدعى الامر وتم تجهيزه باربطة واحزمة امان لكى يكون مؤمن فى حال كان الامر كما يظنه بوجود هوة عميقة اسفل الجدار ، وبالفعل اضحى شكله عقب ارتداء الاحزمة كمتسلقى الجبال ، وجلس بجوار ماردينى منظرا الة الحفر لكى تقوم بتوسعة الثقب ، واخبرهم ماتيوث ان الامر قد يستغرق الساعتين لزيادة قطر الثقب ، وجلس سفيان ارضا إلي ان تنتهى ماكينة الحفر من احداث الثقب المطلوب وبجواره جلس ماردينى واستأذنهم الطرابلسى على ان يعود اليهم بعد ساعتين ، وجلس سفيان وماردينى بجوار بعضهم واخذا ينظرا إلي الماكينة وهى تعمل ، ثم توجه سفيان إلي ماردينى بالسؤال

— سيد ماردينى هل لى ان اسألك سؤال

— تفضل

— ماذا تظن ان نجد خلف هذا الجدار ؟؟

– غريب سؤالك هذا ، سنجد اثار بالقطع !!

... هز سفيان رأسه ولم يعقب ، فستأنف ماردينى الكلام

– هل تظن اننا سنجد شىء اخر غير الاثار ؟!

– نعم يا سيد ماردينى سنجد اثار ، ولكن ليس هذا هو المهم

– اذا فما هو المهم !!

– المهم ان نفهم ذلك التاريخ الغامض ، ان نزيل الستار عن الاف السنين من الخفاء ، ان نكشف اسرار الزمن .

.... يضحك ماردينى ضحكة عالية ، وينظر إلي سفيان قائلا ..

.. ما هذا الذى تقوله يا سفيان انت تذكرنى بباحثى التاريخ والاكاديميين ، كلا كلا نحن نريد الاثار لنربح من ورائها الاموال ، يا سفيان اظن انه ينقصك الكثير من الامور لتعلمها ، نحن لدينا شعار نسرى عليه فى عملنا هذا وهو ان

،، الحياة فرص والماهر من اقتنص ،،

– نظر اليه سفيان وضحك بسخرية قائلا

نعم نعم قد سمعت عن تلك النظرية ، نظرية الحياة فرص والماهر من اقتنص ، هل تعلم يا سيد ماردينى انى بقيت زمنا اتمنى ان يكون لدى المال الذى يجعلنى احيا بمستوى رغيد ولكن من عجيب امر هذه الدنيا انك تظل تطلب امرا وحين ياتى يكون فى غير وقته فيفقد بهجته او قد ياتيك ما تريد وقتما تريد ولكن المقابل يجعلك تفقد لذته ، وانا ارى انى سأدفع من مبادىء وقيمى ثمنا فادحا،

صدقنى يا صديقى بفضل نظريتكم تلك اصبحنا نبحث عن الانسان الذى فقدناه وسط الماديات واللا اخلاق فهنيئا لمن يجده وسط هذا الركام ، واخذ سفيان يشير بسبابته إلي الركام الناتج عن الماكينة.

– كلا يا سفيان طالما اردت ان تفلسف الامر ، فهو ليس كما ذكرت فكل انسان مسؤل عن افعاله وهو الذى يحدد وجهته اما للخير واما للشر فالقلب يمكنه ان يحب ويمكنه ان يكره و العين قد تعشق وقد تحسد ، و القدم يمكنها الذهاب إلي دور العبادة او تتجه إلي الخمارة ويدك قد تصب بها الماء وقد ترفع بها كأس الخمر ، انت الذى تحدد وجهتك وليس من يدفعك فكل انسان يعلم حقيقة ما يقوم به ولكن هناك من يغض بصره عن الحقيقه وهناك من يدير لها ظهره بالكلية فمن اساسيات الصدق مع النفس ان لا تحمل غيرك سوء فعلك .

-- شعر سفيان بانه ربما اخطا حين ابدى مشاعره المتناقضة مع ما يقوم به ، فحاول ان يشتت ما راه في عين ماردينى من قلق بقوله

-- نعم ، احسنت قد اكون اخطئت التقدير ، لعله اصابنى بعض الهذيان ، لا عليك يا ماردينى .

... نظر ماردينى إلي سفيان ولم يعقب ، فبادره سفيان بالقول

-- هل علمت انى قد خطبت ابنة الطرابلسى

-- ابنة الطرابلسى !! نعم قد سمعت ان لديه ابنة رائعة الجمال ،

-- نعم قد خطبتها والاسبوع القادم سنتمم مراسم الخطبة .

... قطع ماتيوث الحديث بين ماردينى وسفيان مخبرا اياهم بانه لم يعد سوى القليل حتى يصلوا إلي قطر سبعين سنتيمتر ، فقاما معه ووقفوا خلف الماكينة مباشرة فى انتظار ان تصل إلي القطر المطلوب ، وبعد عدة دقائق اعلن ماتيوث ان المهمة انجزت ، وهنا قام ماردينى بالخروج خارج النفق وقام بالاتصال بالطرابلسى وطالبه بان يحضر بقية افراد المجموعة من مصريين وايطاليين ، لكونهم على وشك ارسال سفيان إلي الجانب الاخر من النفق . وفى غضون الساعة كان النفق ممتلىء بافراد المجموعة المصرية كاملة وكذلك حضر روبرتو و باجيو من المجموعة الايطالية ، تجهز سفيان باحزمة امان واربطة وكافة وسائل الامان ، واستعان بانبوبة اكسجين تحسبا لاى ظروف ، واخرج باجيو من حقيبة معه جهازين لا سلكى واعطى سفيان واحد وماردينى الاخر واخبرهم بانه يدعى جهاز ، ماخشير وهو عبارة عن جهاز لاسلكى صغير الحجم مزود باريال قصير ويمتاز بوضوح الصوت وله قدره فائقة على نقل المعلومات بل تخزينها حتى فى حال وجود تشويش على الإرسال ثم يعاود بثها على هيئة رسائل قصيرة فور انتهاء. و وكذلك يصعب اختراق ترددة وهو صغير الحجم عن اجهزة اللاسلكى المعتادة ، واخذ يعلمهم طريقة تشغيل الجهاز وكيفية التواصل من خلاله ، وتم الاتفاق بين سفيان وماردينى انه فى حالة ان يفقد الاتصال لاسلكيا

، فلينتبه لحركة الحبل ، حيث ان شد الحبل بعنف من قبل سفيان معناه ان يجذبوه إلي الخارج وطالما لا حركة بالحبل فهو فى امان

... بدأ سفيان في الدخول من فوهة الجدار عابرا إلي الجانب الاخر زاحفا على يديه وقدمية فى وضعية اشبه بوضعية الجنين ، وكلما تقدم خطوه يمده ماردينى وما تيوث بالحبل وشيئا فشيئا بدأ يغيب عن ناظريهم ، وكلما توغل للداخل يخبرهم بجهاز باللاسلكى " انا بخير " حتى عم الصمت ولم يكرر كلمته فنادى عليه ماردينى " سفيان هل تسمعينى سفيان ، سفيان " فاجابه سفيان ، نعم اسمعك وعلى ان اعود للخلف فالامر كبير ، تراجع سفيان للخلف زاحفا حتى عاد اليهم مرة أخرى ، وما ان راوه حتى انكبوا عليه ، ماذا رأيت يا سفيان ، ماذا هناك ، اخبرنا ما الامر ، وسفيان بالكاد يلتقط انفاسه ويمسح وجهه بيده من كثرة التعرق ، فالمكان بالكاد يكفيه فهو يقطعه زحفا ضاما يديه وقدميه وأخبرهم ان الامر كما توقع ، هوة سحيقة خلف الجدار ، وانه بحاجة إلي إلي مصباح ذو اضائة عالية لمحاولة استكشاف الامر بالاسفل وتقدير كم عمق تلك الهوة ، وراوا تأجيل العملية حتى تجهيز ما يلزم من مصابيح او أدوات أخرى واخبرهم سفيان انه ايضا يسحسن التاجيل حتى يتفرغ لتجهيز امر خطبته

****

ألهة الجمال

... بدأ الاعداد لحفل خطوبة سمية بفيلا ابيها ، وعلى مدار ثلاثة أيام من التجهيزات بدت الفيلا كخلية نحل ،عمال الكهرباء يزينون الفيلا من الداخل والخارج ، ومسؤلى الفراشة يقيمون المسرح بالحديقة وعليه الكوشة ، وطهاة يحضرون ما لذ وطاب من صنوف الطعام شرقى وغربى ومشروبات وكل ما يجول بخاطرك وما لا يجول احضروه فذاك حفل ابنة قطب المال الشهير الملقب في السوق بالرجل الاخطبوط ، ومع اسدال المساء لخيوطه يوم الحفل أضحت الفيلا كقطعة كريستال تتلألأ انوارا ، وسط الحديقة المحيطة بها ، والضيوف من طبقة النجوم التي تنافس تلك الأضواء المبهرة في اللمعة ، هنا فنان مشهور وهذا رجل اعمال كبير وذاك سياسى مخضرم ، الجميع حضر لمجاملة الاخطبوط الكبير سرحان الطرابلسى ، وما ان ظهرت سمية حتى انزوت النجوم وخفتت أضواء الحضور وبدت كألهة للجمال ، حتى أصبحت المنافسة بينها وتلك المصابيح المدلاه في ارجاء المكان ايهما يشع اكثر ، وكانها البدر في يومه الرابع عشر ، جمال مكتمل فوق النصاب نصاب ، واخذت تختال بوجه صبوح كالزهر وقد رشيق كالمهر، جمال يجذب وروح تأسر ، تدلت من الطابق العلوى للفيلا تتأبط ذراع ابيها وسط عزف الموسيقى ، وبخطوة وراء الأخرى في بطء تدلت السلم إلي ان استقبلها سفيان عند اول درجة منه والشوق يملا عينيه والفرحة تسرى في عروقه

وشرايينه ، وبنظرة من عينه طرح عليها الكثير من شوقه ، ثم اخرج من جيبه علبة من القطيفة ليهديها خاتم من الألماس الحر ، واضعا إياه في اصبعها مؤذنا ببداية علاقة طالما تمناها ، واخذها وسارا سويا وسط انغام الفرقة الموسيقية إلي وسط حديقة الفيلا وتراقصا سويا واضعا يدا على خصرها والأخرى مشتبكة بيمناها وهى يدا في يده والأخرى على منكبه ، ووسط الحضور وعلى انغام موسيقى غربية حالمة ، ودخان ابيض بدا المشهد كالحلم ، استمرا محلقين مع بعضهما ولم يشعرا بنفسيهما الا والموسيقى تتوقف ، والحضور يصفق و يصيح فرحا وابتهاجا ، ثم صعدا ليجلسا فوق المقاعد بالمسرح المعد لهما ، واخذت روح سفيان تستعيد تلك الأيام الخاليه التي كان مجرد الحديث إلي سمية يعد له حلما ، حين كان يختلس النظر اليها تارة ، ويجعل الاشعار حجته للحديث معها تارة أخرى ، وهاهى اليوم على اول الطريق لتصبح شريكة حياته ، واصبح سفيان يحضر إلي الفيلا كثيرا ، ويخرج مع سمية مساء كلما حانت الفرصة، واتصالات يوميا بينهما ، واصبح سفيان يفيض على سمية الكثير من الهدايا ويفيض من عاطفته الأكثر ، حتى اصبح كلاهما لا يستغنى عن الاخر .

****

الهبوط العظيم

... انقضى اسبوع بعد خطبة سفيان وسمية وبدأ الاستعدادا لاستئناف العملية ، وبالفعل قاموا بتجهيز مصباح ذو اضائة عالية ، وبدأ سفيان يعيد الكرة عبر فوهة الجدار ، وزحف بنفس الطريقة ووصل إلي الجانب الاخر من الجدار ومعه المصباح ، واخذ يدير المصباح يمنة ويسرى وإلي العلى والاسفل ، ورأى المكان بالاسفل عبارة عن مساحة يبدوا انها دائرية ولكنه لم يستطع تحديد ماذا يوجد على الارض ولكن المؤكد ان الارض ليست فضاء ، فهناك مرتفعات قد تكون مقابر او مخازن أو منازل ، والكثير من الاشكال التي لم يستطع تميزها ، وبسهولة استطاع تمييز عمود ضخم جدا بوسط المكان يرتفع من اسفل إلي الاعلى ومخترقا سقف تلك الساحة الدائرية الكبيرة ويبدوا انه يحوى بداخله شيء او يحمل شيء ، فهو ذو قطر كبير ، وعليه نقوش ورسومات ، اخذ سفيان ينقل وصفا تفصيليا لما يراه لماردينى عبراللاسلكى ، واخبره ان الهوة التي اسفله على عمق قرابة العشرين مترا كما تخيلها ، ثم زحف عائدا للخلف مرة أخرى ، وقص عليهم ما رأه ، وبدأو يتفكروا فى كيفية النزول إلي هذا العمق خلف الجدار ، واتفقوا على نزول سفيان وماردينى للأسفل لاستكشاف الامر ورؤية ما هي تلك الممرات والاشكال الغريبة وذالك العمود الضخم الموجود المخترق المكان من اسفله إلي منتهاه . ومادا يحوى داخله او مادا يحمل اعلاه.

... ارتدى سفيان و ماردينى الاربطة الخاصة بالأمان وتجهز كلا منهم بمصباح على راسه ومصباح ضخم في يده ، وكلا منهم موصول بحبل طرفه مثبت ومعقود بهاكينة الحفر ومع ماردينى جهاز لاسلكى يتواصل من خلاله مع ماتيوث والذى اصبح مسؤل عن التواصل معهم عبر اللاسلكى ، وكذلك اصطحبوا معهم حبال على هيئة سلم بطول عشرين مترا وجعلوا احد طرفيه مثبت ايضا بالة الحفر والتى اصبحت بمثابة مركز اتزان لكل من سيتدلى اسفل الجانب الاخر من الجدار ، واخذوا طرف السلم الاخر معهم إلي داخل الثقب بالجدار ، دخل سفيان إلي فوهة الجدار أولا وخلفه ماردينى واخذوا يزحفا وراء بعضهم البعض و يدفعوا تلك الأدوات امامهم في فوهة الجدار وسفيان يدفع امامه السلم وماردينى يتبعه زاحفا خلفه ، حتى وصل سفيان إلي فوهة الجدار من الجانب الاخر ، فالقى الطرف الاخر من السلم في الهوة الموجوده اسفله ، واخبر ماردينى بانه سيتدلى أولا ويليه هو مباشرة حتى يكونا على تواصل دائم ، اخذ سفيان وماردينى يبلغا ماتيوث بكل خطوة وحركة يقومان بها حتى يقوم بجذبهم ان استدعى الامر او كانت هناك مخاطرة عليهم ، وبدأ سفيان يضع قدمه على السلم وينزل باولى خطواته فى الهوة السحيقة اسفله وتبعه ماردينى واخذا يهبطا وسط ظلام الاف السنين ، واضاءة كشافات الراس بالكاد تضيء موضع قدمهم على السلم ومقابض ايديهم ، وها هم معلقان على الجدار كمتسلقى الجبال

يتدلون شيئا فشيئا ومع كل قدم يهبطاه يقتربا من كشف لغز احد اكبر اسرار البشرية كما يرى سفيان ، ويقتربا من كنوز قارون وثراء لم يخطر على بال بشر كما يرى ماردينى ، والان هبطا قرابة عشرة امطار حتى بدأوا يشعرون بالاختناق نتيجة قلة الاكسجين ، وبدأت تظهر بوادر التعب على ماردينى وسفيان فسارعا بارتداء انابيب الاكسجين الموجودة على ظهرهما ، وما ان ارتدا انابيب واقنعة الاكسجين حتى بدأ يستعيدا حيويتهم وواصلا الهبوط ، وبدأ سفيان وماردينى يتواصلا بالاشارة كمحاكاة الغطاسين تحت الماء ، ومع اخر خطوات الهبوط من سفيان وماردينى اصبحا على الارض والتى كانت ارضا صخرية صلبة ، فى مشهد مشابه لخطوت الانسان على القمر ، ومع اول خطوة بقدم سفيان على الارض لاحظ شيء غريبا يصدر طقطقة تحت قدمه وسمع ماردينى ذلك الصوت ، فاصابهما شيء من الخوف وتملكهم الرعب وببطء شديد وجه سفيان الاضائة الموجودة بالكشاف الموجود بخوذته نحو قدمه ومكان الطقطقة وهو يرتعد مما قد يجده ، فاذا به حطام الروبوت الذى ارسله ماردينى ، فهدأ واسترد اتزانه وامسك بحطام الروبوت ورفعه لماردينى وهو يبتسم كمن يقول له لاتقلق ، ثم انزلا الحقائب التى يحملاها على ظهورهما واخرج كلا منهم المصباح الضخم الذى بحوزته ، وقام سفيان بانارة المصباح واطلقه فى الفراغ حوله ، وكذلك فعل ماردينى ، واول ما لفت انتباههم فى وسط ذلك الظلام الدامس ، هو عمود ضخم جدا على مسافة قريبة جدا منهما ، فاشار سفيان إلي ماردينى بان

يركز على ذلك العمود بالاضاءة ، وبالفعل لفت انتباه ماردينى ذلك العمود ولاحظا وجود بعض الرموز المنقوشة عليه ، واختراقه من الارض إلي اعلى حتى يخترق الصخور المكونة لسقف هذه المساحة من الفراغ ، وكانه عمود ارتكاز ، ثم استدارا بالاضائة حول المكان ليلاحظا ان المكان عبارة عن ممرات مصفوف على جوانبها بنايات صغيرة اشبه بالغرف وعليها بوابات، وتؤدى تلك الممرات كلها نحو ذلك العمود الضخم القابع هناك فى المنتصف

واثناء استكشافهم للمكان ، فوجئا بالساعة فى ايديهم تطلق انذارا بان كمية الاكسجين قاربت على الانتهاء ، فسارعا باطفاء المصابيح الكبيرة واعادتها للحقائب والاكتفاء بمصباح الراس وحملا حقائبهم على ظهورهم واتجهوا مسرعين نحو السلم وارتقوه مسرعين للاعلى وسريعا سريعا خلف بعضهما وصلا نحو فوهة الجدار ، وعندها نزعا انابيب واقنعة الاكسجين وادخلاها بالحقيبة حتى يتمكنا من الدخول إلي فتحة الجدار ، فدخلاها زحفا وهم يدفعان الحقائب امامهم خارجين إلي الجانب الاخر ، فى حالة ارهاق واعياء من العودة السريعة واختراق الجدار ، ليجدا الجميع فى انتظارهم بقلق شديد ، فمنذ ارتدا انابيب واقنعة الاكسجين لم يستطيعا التواصل مع ماتيوث ، فسارع ماتيوث وبقية الحضور من مصريين وايطاليين إلي احضار زجاجات مياه ، واجلسوهم وحاولوا ان يخففوا عنهم الارهاق البادى عليهم ، وما ان استردا انفاسهما حتى بدا ينقلا لهم وصف ما رأوا في الجانب الاخر من الجدار ، وان المكان بحاجة لاضائة قوية

لاماطة اللثام عما يكتنف هذا الظلام الدامس بشكل جلى ، وكذلك المكان يحتاج إلي تهوية حتى يتمكنا من فتح تلك الغرف او المقابر المغلقة والتحرك بحرية وكذلك ليمكنهم السير حتى ذلك العمود الضخم القابع بوسط المكان ، وبالفعل بدأ الطرابلسى في تجهيز ما يلزم من مراوح وكابلات كهربائية وكشافات ذات اضائة عالية ، وتم ادخال كل تلك الأدوات والمعدات شيئا فشيئا مع سفيان وماردينى عبر فوهة الجدار إلي الجانب الاخر

وبعد انتهاء ادخال جميع ما يلزم من معدات وكشافات ومراوح ومد الكابلات ، تم انزال ماردينى وماتيوث إلي الجانب الاخر لتجهيز المكان وانارة تلك الممرات وتركيب المراوح ومد الكابلات ، وبقى سفيان في الخارج يتابعهم ، وبالفعل في خلال ثلاثة أيام من العمل المتواصل تم انارة المكان بكشافات جعلت المكان ذو اضاءة باهرة وكذلك بدأ الهواء يتردد في اركان المكان مؤذنا ببث الحياة فيه من بعد الاف السنين من السكون ، ثم بداوا في تجريب أجهزة الاسلكى " ماخشير " للتواصل بينهم وبين سفيان فاذا بها تلتقط الإشارة بشكل واضح ، واتموا المهمة كاملة وخرجوا في انتظار ان يعاود سفيان وماردينى استكشاف المكان تفصيليا ، وتم تأجيل نزول سفيان وماردينى لتفحص المكان لحين الانتهاء من اعداد المرحلة القادمة والتي ستتمثل في كيفية استخراج الكنوز الموجودة بالاسفل وكذلك تخزينها وكيفية خروجها إلي خارج مصر ، ودعاهم الطرابلسى جميعا للاجتماع لديه بمكتبه لبحث الخطوة التالية ، وحضر الجميع من

مصريين وايطالين ومعهم سفيان ، واخبرهم الدكرورى بان المكان المعد لتخزين الاثار اصبح جاهزا في بنى سويف باحدى القرى النائية بجنوب المحافظة بداخل منزل احد الرجال الذين يعملون معه ويثق به ولا خوف من عملية التخزين لديه ، ثم بدأوا يتباحثون في كيفية نقلها من اسفل النفق حتى تصل الى تلك القرية ، فان تم نقلها داخل سيارات نقل بالطرق العادية قد تتعرض للتفتيش من قبل الكمائن والنقاط المرورية وهنا اقترح الدكرورى ان يتم نقلها عبر سيارات شركته التي تنقل الرمال على ان تكون الاثار مدفونة وسط الرمال بالسيارة حيث لا يقوم رجال الشرطة بفحص الرمال من الداخل ، واخذ الحضور يدلى كلا بدلوه ما بين مؤيد للفكرة او معارض لها إلي ان استقروا انها افضل السبل ، كل تلك المناقشات و سفيان يلوذ بالصمت ، بل بقى على جلسة واحدة طوال الاجتماع واضعا خديه على كفيه وناظرا إلي ترابيزة الاجتماعات ، ولاحظ الجميع الامتعاض عليه وخاصة عندما رأى ان الامر به تهريب للخارج ، فنظر اليه الطرابلسى وساله عن سبب صمته وعدم مشاركتهم الحوار ، فتنهد ملء صدره وقال

... " لا شيء انا استمع لكم فافعلوا ما تشاؤن "

فبدأو ينظرون إلي بعضهم البعض في صمت ، وواصل الطرابلسى الكلام اليهم متجاهلا طريقة سفيان ورده ، وانفض الاجتماع على ان يبدأ سفيان وماردينى الدخول إلي النفق بداية الأسبوع القادم ويتم تقييم الاثار بالداخل وكيفية خروجها ، ومن ثم تنفيذ ما اتفقوا عليه ، وخرج الجميع وبقى ماردينى

جالسا مكانه فنظر اليه الطرابلسى باستغراب ، وساله ان كان يريد ان يحادثه في شيء ، فاجابه بالإيجاب ان نعم اريدك على انفراد ، ثم اخبر ماردينى مخاوفه وهواجسه للطرابلسى بشأن سفيان وان سفيان امره غير مريح ويخشى ان يكون مصدر ازعاج لهم او يشى بهم ، واخبره انه تكلم سابقا مع سفيان وراى في كلامه ونظراته عدم رضاه عن عمله بالتنقيب ولا ما نفعله بالكلية ، وهذا الامر يمثل خطرا عليهم وخاصة انهم وصلوا إلي مرحلة حرجة من العملية ، فشاركه الطرابلسى شكوكه قائلا انه اضطر للاستعانه به حين كان بحاجة إلي من يعبر إلي الجانب الاخر من الجدار ، وطلب الطرابلسى من ماردينى ان يمهله حتى يتناقش مع بقية الشركاء المصريين والايطاليين في امر سفيان ، ولم يأخذ الطرابلسى كثيرا من الوقت حتى تواصل مع شركائة من الجانبين الذين بدأوا ينتابهم القلق من سفيان فهو عضو جديد عليهم ويبدوا عليه انه غير متأقلم معهم ولا متقبل العمل ، وساالهم الطرابلسى عن كيفية التصرف معه تحديدا فكان الاجماع على التخلص منه عقب استخراج الاثار مباشرة ، ودفنه في احد تلك الغرف التي عثروا عليها بالاسفل ويتولى ماردينى وماتنيوث تلك المهمة وهم بصحبته في الأسفل .

****

الف ليلة وليلة

...ومع بداية الاسبوع الجديد تم العزم على عبور سفيان وماردينى عبر الجدار ومن ثم النزول إلي الجانب الاخر وفى هذه المرة الوضع اسهل من سابقه حيث لم يحملا معهم سوى أجهزة الماخشير فقط فقد اصبح المكان في الجانب الاخر مضاءا وذو تهوية جيدة مما سيسمح لهم بالتجول بحرية ونقل وصف المكان لماتيوث وبقية الموجودين معه ، وهناك السلم المصنوع من الحبال لم يزل مدلى على الحائط منذ المرة السابقة التى هبط فيها ماردينى وسفيان ، اخذ كلا من ماردينى وسفيان أجهزة اللاسلكى وبدأوا في الزحف داخل فوهة الجدار إلي ان وصلوا للجانب الاخر فهبطا السلم المتدلى على الجدار ، ونزلا هذه المره بقلب اكثر طمانينة واعصاب اكثر ثباتا، وهبطا خلف بعضهم سريعا ، ووقفا على أرضية المكان واخذا ينظرا إلي المكان بعد ان اصبح منيرا وملامحه واضحة،

واذا به مشهدا اقرب إلي مشاهد الف ليلة وليلة ، فالارض التى يقفون عليها عبارة عن جرانيت اسود مثقول وناعم كالزجاج ، من نفس نوعية الجدار الذين هبطا من خلاله ، والمكان عبارة عن مساحة دائرية كبيرة يحيط بها ذلك السور الجرانيتى الذين قاموا بثقبه والدخول منه ، وفى وسط تلك المساحة دائرة بقطر حوإلي خمسون مترا ، يتوسط تلك الدائرة ذلك العمود الضخم الذى لفت انتباههم مند اول مرة وقعت عيناهما على المكان ومنذ كان الظلام الدامس يلفه ،

فشكل العمود مثير للانتباه فهو على هيئة زهرة اللوتس ، وقطره يقرب من ثلاثون مترا ، وعليه نقوش براقة على حالتها لم يطرا عليها شيء ، فالمكان على اغلاقه منذ اخر رجل خرج منه منذ الاف السنين ، العمود من الجرانيت الاحمر محفور عليه نقوش ورسومات ما بين الاسود والذهبى فى كتابات عمودية ، وكل مجموعة نقوش ورسوم يحيط بها اطار وكانه يفصل حدث عن حدث ، من يقف امامه يرى صورته تتخايل عليه من شدة لمعانه ، فمستوى الدقة والجمال لم يرى من قبل ، تتكون قاعدة العمود من سلم يحيط بالعمود بهيئة دائرية ويتالف من سبع درجات من الجرانيت الاسود ، ومثقولة ولامعة كالمرايا ، يخرج من العمود سبع ممرات على جانبى كل ممر مجموعة من الغرف من الجرانيت ايضا مزينة بكتابات فرعونية بالطول ايضا على هيئتها وكانه كتبت اليوم بل كتبت الساعة ، وكان الاحبار لم تجف بعد ، وعلى راس كل ممر من جهة العمود يوجد تمثال لقط جرانيتى اسود اللون ، وسقف المكان على ارتفاع يصل إلي اربعون مترا ، اخذ سفيان ينقل المشهد الذى يراه إلي الخارج عبر اللاسلكى الى ماتيوث وبقية الرجال فى الخارج ، وبقى يتجول هو ماردينى مشدوهين بالمكان ، ومبهورين بمستوى الجودة العالي والاتقان العظيم ، وبعد ان بدأوا يتأقلما على الابهار والفن العظيم والمشهد الخرافى ، بدأ يقتربا من ذاك العمود ويدورا حوله ، واستفسر ماردينى من سفيان عن سبب وجود ذلك العمود الضخم الذى لم يرى له نظير من قبل سواء فى الارتفاع او القطر او الرسومات الفنية به فكل شيء ينم عن مستوى عالي جدا

من الاتقان ، ولم يستطع سفيان ان يعطى اجابة فمن المستحيل ان يكون العمود فقط للزينة ، جالت بخلد سفيان ان يلتقط صورا للمكان بهاتفه الجوال وخاصة تلك النصوص المدونة على العمود ، ولكنه خشى ان يشى به ماردينى لدى الطرابلسى ، فحاول ان يتحين لحظة يختلى فيها بنفسه عن ماردينى ، وبالفعل اخذ يؤخر خطاه عن ماردينى و هما يدورا حول العمود حتى توارى عنه و ماردينى يتابع دورانه حول العمود ، حتى راى ان اللحظة ملائمة فأخرج هاتفه وعلى عجل اخذ صورة لاحد النصوص من على العمود ، وما ان التقطها حتى صاح عليه ماردينى ، اين انت يا سفيان ، فسريعا مد خطاه وهو يضع الهاتف مرتبكا فى الجيب الخلفى لسرواله وانضم إلي ماردينى موهما اياه بانه كان يتمعن فى النصوص المنقوشة بالعمود ، ثم رأوا ان يتركا ذلك العمود الان ويتجها إلي تلك الغرف المغلقة ، وذهبا إلي احد الغرف الموجوده باحد الممرات واقتربوا منها فاذا الباب موصد باحكام ، حاولا فتحه عنوة فلم يستطيعا ، ومع عدة محاولات ايقنا بصعوبة الامر بمفردهما ، فلم يكن هناك بد من الانتظار حتى يعاودا المجيء ويتصرفا فى شيء يمكنه فتح تلك الابواب ورؤية مابداخل تلك الغرف فربما كان بداخلها الكنوز والاثار ، وبعد جولة بالمكان واستكشافه عادا إلي السلم وصعداه تاركين ذلك الزمن السحيق ومنه عبر فوهة جدار الزمن حيث عادا ثانية إلي القرن الواحد والعشرين .

****

نبوءة المستقبل

... مع دقات السابعة صباحا يستيقظ سفيان ، ويقوم بتحضير كوبا من اشاى ، ويذهب إلي غرفته ويضع كوب الشاى على الكومودينو بجوار السرير ثم فتح دولاب ملابسه وأحضر ملابس داخلية ، وكذلك احضر بنطلون جينز وقميص ابيض ، ومن اسفل سريره جذب حذاء جلد اسود وجوراب ثم جلس على حافة السرير بجوار كوب الشاى واخذ يرتشف تارة من الكوب ثم يقوم ليرتدى قطعة من الملابس ، ثم يتناول رشفة من الكوب وهكذا إلي ان انهى الكوب وكذلك انهى ارتداء ملابسه وحذائه ، ثم اطفأ انوار شقته ونزل إلي الشارع ، وادار سيارته القابعة امام المنزل وانطلق متوجها إلي جامعة القاهرة ، وهناك فى كلية الاداب قسم التاريخ بحث عن الدكتور رياض الذى اصبح رئيسا لقسم التاريخ ، وحين قابله حاول ان يذكره بنفسه وبعد محاولات مضنية من جانب الكتور رياض تذكره واعاد الترحيب به ، فأخبره سفيان بان معه بعض الصور لنصوص مصرية قديمة وكان يريد ان يعرف فحواها ، فاعتذر له الدكتور رياض مخبرا سفيان بان من يفيده فى هذا الامر هو الدكتور بهجت فهذا تخصصه وهو بارع فيه ، وتذكر ان بالفعل الدكتور بهجت خبير فى قراءة وفهم تلك اللغة فشكر الدكتور رياض وتوجه على الفور باحثا عن الدكتور بهجت ، فوجده يلقى محاضرة لطلبة الفرقة الثانية فانتظره حتى فرغ ، ثم سلم عليه واخبره بان لديه

صورة من على الانرنت ، ويريد فهم محتواها ومعنى النقوش والرسوم الموجوده بها ، وما ان راها الدكتور بهجت ، حتى نظر إلي سفيان وساله من اين اتيت بتلك الصورة ، فاعاد عليه سفيان مقاله بانها من على الانترنت ، قبض الكتور بهجت على الهاتف ووضعه خلف ظهره وقال لسفيان ،، انت تكذب ،، فحاول سفيان ان يراوغه قائلا :

— ساشرح لك كل شيء يا دكتور ولكن اخبرنى ما المكتوب ؟؟

— يابنى هذا النص لابد ان يكون ماخوذا من مقبرة او كشف لم يطلع عليه احد والا لو كان موجودا على الانترنت كما تقول لقامت الدنيا ولم تقعد ، فهذا النص عبارة عن اعجاز مزهل .

— يابنى هذا النص عبارة عن تنبأت باحداث مستقبلية ،

... واخذ الدكتور بهجت يشير بسبابته إلي الصورة الموجودة بالهاتف ويقرأ لسفيان ما هو مدون عليها

انه فى صباح اليوم الحادى عشر من الشهر التاسع ، من ذاك العام المشؤم ، سوف تنهار بنايتين عظيمتين ، لدى الامبراطورية العظمى التى توازى المبراطورية المصرية فى عصرنا الحإلي ، وحينها تكون بلادنا فى عصر الاضمحلال هى ومن جاورها من بلاد ،،،

— اصيب سفيان بالدهشة وحدق فى الكتور رياض ،، ماهذا يا دكتور ، ايعقل هذا ، تلك اشارة إلي احداث الحادى عشر من سبتمبر .

... ثم طلب سفيان من الدكتور بهجت ترجمة نص اخر التقطه فزادت دهشة الدكتور بهجت وحدق بسفيان قائلا

" يا بنى اخبرنى من اين وجدت تلك النصوص .

.. سأخبرك بكل شىء ولكنى اخبرنى عن ذلك النص مادا يعنى

.. ترجمة هدا النص هى " وسيتحكم العبيد فى نهر مصر وسيعملوا على اضعاف مصر عن طريق حجز مياهه من منابعه وانشاء سدود عليه "

.. نظر سفيان الى الدكتور بهجت والدهشة والذهول يعتريه " ما هدا يا دكتور هدا يتحدث عن سد النهضة فى اثيوبيا "

..—نعم نعم ، اخبرنى اذا من اين حصلت عليها ، واين بقيتها يبدوا انها مجتزءة من صورة او مساحة اكبر

— حسنا يا دكتور ، اعطنى الهاتف ، وسأتيك فى الغد ببقية الصور واشرح لك كل شىء ،

... تردد الدكتور بهجت للحظات ثم اعطاه الهاتف واخبره بانه سينتظره ، فانطلق سفيان من امامه متنفسا الصعداء بعد ان شعر ان وجوده مع الدكتور بهجت كاد ان يودى إلي اكتشاف امره ومن ثم انتقام الطرابلسى ورجاله منه ، فهم مافيا عالمية لن يتوروعوا فى قتله بل وقتل الدكتور بهجت معه والانتقام منهما

ان علموا بانه وشى بهم ، وسريعا وهو يسابق خطواته خرج من الجامعة واستقل سيارته عائدا إلي بيته وصعد شقته والقى نفسه على السرير بملابسه إلي ان استرد رباط جأشه وبدأ يستعيد حيويته ونشاطه ، فقام وارتدى ملابس البيت وادارالتلفاز إلي ان راح فى سبات عميق إلي الصباح ...

****

غدر الاخطبوط

قرر الطرابلسى وبقية شركاؤه من مصريين وايطاليين ان يدخلوا الى اسفل النفق ويروا بانفسهم الوضع على الطبيعة ورأوا ان يتم توسعة فتحة الجدار حتى يتمكنوا من الولوج إلي المكان بالجانب الاخر ، فهم لن يستطيعوا الدخول بطريقة وضعية الجنين التي يدخل بها سفيان وماردينى فمنهم من لم يستطيع جسده ان ينزلق بداخل تلك الفتحة بالجدار ومن هم من هو كالطرابلسى لن يتنازل عن وضعه المرموق ويدخل بهذه الطريقة الزاحفة ، ومن جانب اخر فهم بالفعل بحاجة إلي توسعة ذلك الثقب للبدأ في اخراج الاثار والتماثيل التي بدأت بوادرها تظهر مع تلك القطط الكبيرة القابعة على رؤس الممرات وكذلك من المرجح ان تحوى الغرف المغلقة بالاسفل العديد من الكنوز والاثار.

بدأوا في توسعة الجدار ، وصباحا يبدأ ماردينى و معه العمال في تسليط النار على الجدار حول الثقب ، قرابة ساعتين من تسليط النار المباشر على ذلك الجدار الجرانيتى بنفس طريقة التبريد والتسخين السابق استخدامها ، ثم وبشكل مفاجى يتم توجيه خراطيم المياه على الجدار ، ومع تكرار العملية ، تبريد وتسخين ، تبريد وتسخين ، بدأ يتكرر المشهد وكما حدث مع فتحة الجدار سابقا ، تشققات في الجدار بكامل المساحة التي تم تسليط النار والماء عليها ، ومن ثم قامت

الدقاقات بعمل المطلوب من تصدع الحائط حتى سقط مغشيا عليه كاشفا عن فتحة شبه دائرية بقطر يكفى دخول رجلا بالغا وهو منتصب ، ودخل الطرابلسى وشركاه منها وعبروا الجدار حتى وقفوا على شفيره من الجانب الاخر ثم بدأوا يتدلوا السلم ونزلوا إلي الممرات السفليه واخذوا ينظروا ويتجولوا في تلك الممرات وتحلقوا كلهم حول العمود المتوسط المكان ، ونظر الطرابلسى إلي الحميع قائلا ،

-- اظن ان ذلك العمود به شيء .

-- جاوبه ماردينى ، اى شيء بداخله !! هذا عمود من الجرانيت !!

-- ينظر اليه الطرابلسى متعجبا ، اتريد ان تقنعنى ان عمود بقطر يقارب الثلاثين مترا ويكون مصمت من الداخل ، اى منطق هذا ؟؟!!

-- نظر اليه ماردينى وهو يرفع حاجبية ويقلب كفيه " واى شيء منذ دخلنا إلي هنا ينطبق عليه المنطق ، عموما لك ما شتت ، اتريد ان نثقبه لنرى ان كان بداخله شيء " ؟؟

-- كلا كلا دعه الان حتى ننتهى من امر تلك الغرف

..يسير معهم سفيان في جولتهم وقلبه كالمرجل غيظا وحنقا من داخله مما يسمع من التخطيط لسرقة هذه الكنوز ، وما ان اقترح الطرابلسى فكرة ثقب العمود حتى فاض ما يجول بنفسه من ضيق ، فاعترض على كلام كليهما، واخبرهم انهم منذ ان هبطوا إلي هذا المكان والاضرار بدات تلحق بالمكان من

حائط جرانيتى تم دكه وطمس ملامحه ، إلي غرف سيتم فتحها عنوة ويقينا سيتم الضرر بها ، والان تريدون تشويه ذلك العمود ، واخذ يتكلم بلهجة منفعلة،

مما حدا بالطرابلسى ان يبادله الانفعال واشد ، فاخذ يشيح بيده ويقذف بلسانه مخبرا إياه بانه يعمل هنا تحت امرتهم وليس له ان يحدد ما يتم فعله ، ثم في لهجة أمرة ، وعينا تنظر شذرا ، خيره بين ان يتم معهم العمليه في صمت واما يرقد هنا إلي الابد ، فصمت سفيان ولم يعقب ، ثم أشار الطرابلسى لماردينى وبقية الحضور بان يصعدوا إلي النفق ومن ثم إلي السطح ليروا كيفية فتح الغرف ونقل ما فيها إلي المخازن المعده لها في بنى سويف ، بدأوا يتقاطروا وراء بعضهم البعض على السلم صعودا ، وكان اول الصاعدين الطرابلسى واخرهم سفيان.

وما ان خرجوا حتى اخذ ماردينى الطرابلسى جانبا وأشار اليه ان خروج سفيان من النفق اصبح خطرا عليهم ، والأفضل ان يبقى هنا إلي ان يتم انجاز العملية وخروجهم سالمين ، ثم يتصرف الطرابلسى معه كيفما يشاء ، فتردد الطرابلسى في البداية ثم نزل على رأي ماردينى، واخبر الطرابلسى صديقه الدكرورى أن يطلب من الرجال العاملين بالنفق ان يقيدوا سفيان بالحبال ويتركوه بالنفق ويتابعوه بالاكل والشراب ويتركوا له مراوح التهويه تعمل ، إلي ان يرى الطرابلسى التصرف معه ، وبالفعل هجم كلا من الدهشورى و ابوزيد وجاسم على سفيان ، والذى حاول ان يقاومهم دون جدوى وهو يصيح على

الطرابلسى بانه لم يغدر به وان الطرابلسى هو من غدر ثم وجه حديثه للدكرورى بان هذا ليس ما اتفقا عليه ، وبقى الطرابلسى والدكرورى والبقية ينظرون اليه وهو يقيد بلا اجابه إلي ان قيده الرجال بالحبال واجلسوه بجانب الحائط الجرانيتى وخرجوا جميعهم ، من النفق واغلقوا الانوار وتركوا له المراوح حتى لايتعرض للاختناق .

****

الجرار والسبائك

بدأ الطرابلسى يسارع الوقت هو وشركائه حتى ينتهوا من الامر سريعا ، فبدأوا بتجهيز مطارق ضخمة لفتح الابواب الموصدة بساحة الممرات ، ومع صبيحة اليوم التالى توجه الرجال ومعهم ماتيوث و ماردينى ، إلي النفق ودخلوه ونزلول إلي منطقة الغرف ووقفوا امام اول غرفة قابلتهم بمجرد ان هبطوا السلم ، ووقف العمال ومع كلا منهم مطرقة فولاذية ضخمة واشار اليهم ماردينى ان دكوا الباب ، وبالفعل لم يتوانى الرجال فى الامر وبعد عدة ضربات متوالية من ثلاثتهم تهاوى الباب ارضا بمصراعيه ، فتراجع الرجال للخلف ، و ببطء بدا يتقدم ماردينى وماتيوث وخلفهم الرجال الثلاث يحملون معاولهم على اكتافهم ، وبدأ ماردينى يخطوا اولى الخطوات داخل الغرفة التى بلغت مساحتها اربعة امتار فى اربعة امتار واخذ يتلفت يمينا ويسارا ، ليجد ان الغرفة بها فى الجانب الايمن جرة فخارية مصقوله على حالتها من البريق ودقة الصنعة وعلى فوهتها غطاء ثقيل من الفخار ، وبالجانب الايسر من الغرفة تابوت جرانيتى احمر طويل بطول الغرفة وارتفاع قرابة المتر وبغطاء جرانيتى ضخم كذلك.

وبعد ان تفحص ماردينى وماتيوث الغرفة، طالب الرجال ان يفتحوا الجرة ، ثم عدل عن فكرته مطالبا اياهم بالانظار ، واخبرهم ان ينقلوا تلك الجرة معهم للخارج ويفتحوها ، فقد انتابه شيء من الخوف مما قد يجده بداخلها او

انطلاق رائحة تؤذيهم ، فطالبه ماتيوث بالانتظار حتى يروا مايوجد بالتابوت وكذلك بقية الغرف ثم ينصرفوا ومعهم الجرة ، فنزل على رغبته واتجهوا نحو التابوت ، وساعد ماردينى وماتيوث الرجال فى محاولة زحزحة غطاء التابوت الضخم ، واخذوا جميعا يجاهدون فى تحريكه ، وبالكاد بدأ يتحرك الغطاء من على التابوت ، كاشفا عما بداخله ، حيث وجدوا به سبائك ذهبية على هيئة قوالب مخزنة بطريقة توحى بانها ليست فقط تخص ملك او شخص بعينه ، ولكنه ربما كانت خزائن للدولة المصرية القديمة ، فتلك الكمية من الذهب وطريقة تخزينه لا توحى بانه للزينة او التباهى وانما لحفظ القيمة ، اخذ ماردينى وماتيوث والرجال ينظرون لبعضهم البعض بلا حوار.

وبعد صمت وانبهار طالبهم ماردينى بالتوجه إلي الغرفة المجاورة فوجدوا فيها صورة مكررة من الغرفة الاولى ، واخذوا يتناوبون الطرق بالمعاول على ابواب الغرف واحدة تلو الاخرى وجميعهم من الداخل نفس الامر فى الجانب الايمن من الغرفة تابوت جرانيتى ملىء بسبائك ذهبية فى جانب وفى الجانب الايسر جرة فخارية ، وبقوا طيلة اليوم فى اسفل النفق حتى انهوا على جميع الغرف الموجوده بالممرات السبعة وبكل ممر عشر غرف على كل جانب من جانبيه باجمالي مائة واربعون غرفة بهم مائة واربعون تابوت جرانيتى ملىء بسبائك ذهبية ، ثم طالبهم ماردينى بالخروج سريعا ليخبرو بقية المجموعة والاتفاق على طريقة خروج تلك الكنوز ، فذكره ماتيوث بامر الجرار التى لم يعرفوا ما

بداخلها ، فامر مردينى الدهشورى ان ياتى بواحده من احدى تلك الجرار فى الغرف ويحملها معه و سريعا يهموا بالخروج وقد ايقن الجميع انهم فى المراحل الاخيرة من اتماما العملية ، وعند صعودهم لم يتمكن الدهشورى من صعود السلم وهو يحمل الجره ، فالسلم يتطلب التمسك بكلتا يديه ، فبقى بالاسفل إلي ان صعدوا جميعهم وسريعا احضر " جاسر " اكبر العمال سنا حبال من المتراكمة بالنفق والقاه إلي الدهشورى ليربطه فى مقبضى الجره وماتيوث وماردينى يقفا بجواره يتابعوه ويتابعوا الدهشورى فى صعوده إلي النفق بالجرة ، وبالفعل احكم الدهشورى الحبل واوثقه حول مقبضى الجرة ثم اشار لجاسر ان يرفعها وصعد خلفها الدهشورى وهو يحافظ على اتزانها حتى لا تتعرض للكسر، وسط صيحات التحذير من ماتيوث وماردينى لكلا من الدهشوري وجاسر من نوعية، انتبه للجره واحذر ان تتعرض الجرة للكسر.

وما هى الا عدة دقائق الا وكان جاسر يستقبل الجرة بين يديه لتكون أولى الاثار التى خرجت من الزمن السحيق إلي القرن الواحد والعشرين ، بين يديه حمل جاسر الجرة وبجوار سفيان وضعها ليقترب منها ماردينى وماتيوث ويبدأ ماردينى برفع الغطاء عنها ، وهو متوجس وعلى مسافة منه بقف الجميع باستثناء سفيان الذى يجلس بجوارها بلا حول ولا قوة ، رفع ماردينى الغطاء وهو يشيح بوجهه فى جانب اخر كمن يفكك قنبله فرفع الغطاء ولم يحدث شىء ، وبشكل بطىء استدار نحو فوهة الجرة وبدأ يقترب منها ممدا بصره نحو داخلها ، فاذا بها

مملؤة بسائل قرمزى اللون ، فتشجع والتفت بكامل جسده وامعن النظر ، وحاول ان يتفحصها جيدا ورجها ، فاذا هو فعلا سائل قرمزى اللون ، وحين راى ماتيوث والبقية ان الامر لا ينطوى على خطورة اقتربوا من الجرة وتحلقوا حولها وبادر ماتيوث بسؤال ماردينى عن هدا السائل ، فنظر اليه ماردينى بتعجب وقلب كفيه نافيا علمه ، ثم راى ماردينى ان يغلقوا الجرة الان ويتركوا امرها إلي ان يبلغوا بقية المجموعة بفحوى ما وجدوا فى الغرف والتوابيت فهذا هو الاهم

****

... اخبر ماردينى الطرابلسى بما وجدوا في الغرف من امر الذهب والجرار ، وبدوره ابلغ الطرابلسى بقية الشركاء ، والذين ذهبوا عن بكرة ابيهم إلي النفق وتدلوا إلي حيث توجد الممرات ورأوا الغرف وما بها من توابيت تحوى السبائك الذهبية ، واخبرهم الطرابلسى بان عليهم الان نقل هذه السبائك ، وكذلك نقل القطط الموجودة على راس الممرات إلي المخازن المعدة في بنى سويف بأسرع وقت ، وساله ماردينى عن الجرار فلم يبدى الطرابلسى اهتمام بها بعدما علم ان بدلخلها سائل ولم يهتم بالسؤال عن حقيقة هذا السائل ، فاخبره ماردينى انه سيأخذ من هذا السائل معه ويحاول ان يستقصى عنه بمعامل في إيطاليا ، فوافقه الطرابلسى وسمح له ان يأخذ منه ما شاء فما يهمه هو الذهب ، وتلك التماثيل القابعة امام

الغرف ، وطلب الطرابلسى من الدكرورى ان يجهز سياراته ويملاؤها بالرمال ويقوم العمال دهشورى وجاسر وابوزيد بتفريغ التوابيت من السبائك وتخزينها فى أكياس من القماش .

****

تأمين الغنيمة

... نزل الجميع إلي الممرات وبدأوا في فتح التابوت الأول ، وقام العمال بإخراج جميع السبائك الذهبية إلي خارج التابوت التى بلغ عددها الف قطعة بالتابوت الواحد ثم قاموا بتعبئتها داخل أكياس من القماش حيث حوى كل كيس عشرة سبائك فكان حصيلة التابوت الواحد مائة كيس من القماش يحوى داخله الف سبيكة ووضعوا حصيلة كل تابوت بوسط الغرفة بين التابوت والجرة حتى لاتزدحم الممرات بكميات الاكياس التي بدى انها ستكون كبيرة جدا ، وتم تفريغ جميع التوابيت المائة واربعون من السبائك الذهبية ، لتكون محصلة الذهب الذى جمعوه من الممرات مائة واربعون الف سبيكة ذهبية ، ومعهم سبعة تماثيل جراتينية لقطط سوداء يبلغ طول الواحد منها متر ونصف وبارتفاع المتر رابضون امام الممرات السبعة.

وبدأ العمال في رفع تلك الاكياس إلي داخل النفق التي بدأت حين اتموها كاملة كالهرم مكومة فوق بعضها ، واتفقوا على ان يبدأ الدكرورى في الصباح في احضار السيارت المحملة بالرمال ويجعلوا مؤخرتها في مواجهة مدخل اللمبنى على ان يقوم العمال باخفاء مائة كيس داخل كل سيارة وسط الرمال ، وقام الدكرورى بتجهيز ثلاثة عشر سيارة وهم ما يملكه من سيارات نقل يستخدمهم لنقل الرمال والزلط في مشاريعه الخاصة بالمقاولات ، وفى الصباح الباكر بدات

السيارات في التقاطر امام المبنى المكون من البدروم والارضى واستدارت السيارة الأولى وجعلت مؤخرتها بمواجهة بوابة المبنى وفتحو الباب الخلفى للسيارة لتسقط منه كمية الرمال المحملة بالجزء الخلفى من السيارة ، ثم قام العمال سريعا باحضار الاكياس من باطن النفق وبدأو في دفن الاكياس وسط حمولة الرمال ، وبعد ان اتموا دفن المائة كيس قاموا بإعادة تحميل بقية الرمال المتساقطة ارضا واعادتها إلي السيارة حتى تصبح الاكياس ابعد ما يكون عن سطح السيارة.

واخذت السيارات تشق طريقها نحو الطريق الصحراوى الغربى ومنه إلي محافظة بنى سويف وذاك هو اقرب الطرق المؤدى إلي المخزن المعد لتخزين الغنيمة هو كذلك ابعدها عن أعين الشرطة ، فالطريق يخترق الصحراء وليس به سوى ارتكازين امنيين او ثلاثة على الاكثر للشرطة على مدخل محافظة بنى سويف ، بخلاف الطريق القديم المخترق للوادى الزراعى والذى به الكثير من نقاط الشرطة والكمائن ، وبالفعل ما ان بدأت السيارات تدخل في نطاق محافظة بنى سوبف حتى كانت بوابات الرسوم الموجودة على بداية حدود المحافظة شاخصة امامهم والتي يتم فيها تفتيش السيارات الداخلة للمحافظة وكذلك الخارجة منها وأيضا يتم دفع رسم العبور للمتجه نحو المحافظة او الخارج منها ، أبطأت السيارات عند اقترابها من البوابات ، وتقدمت السيارة الأولى من مدخل بوابة الرسوم الأولى ، ومد السائق يده من الشباك مخرجا لمسؤل التحصيل عشرة

جنيهات قيمة رسم عبور السيارات النقل ، قتناولها المسؤل منه واعطاه ايصالا ومر من البوابة ، ليجد بعد البوابة مباشرة من الجانب الاخر مجموعة من رجال الشرطة بينهم ضباط ذوى رتب عليا ودنيا يتابعون حركة سير السيارات فمرت السيارة وهم ينظرون اليها دون ان يستوقفها احد فلا يوجد شيء يستدعى الاستغراب ، وما ان مرت السيارة الأولى حتى بدأت في السير الحسيس إلي ان تقاطروا خلف بعضهم البعض ومرت بقية السيارات من البوابات دون مشاكل ، واخذوا طريقهم نحو القرية بجنوب المحافظة ، وبعد قيادة قرابة الساعتين ، وصلوا إلي القرية مع حلول الظهيرة وقفت السيارات مدخل على الطريق الرئيسى للقرية في انتظار دخولها الى المنزل المجهز لها لتتفريغ حمولتها ، و بقيت هكذا إلي ان حل المساء ، ومع اسدال الليل استاره وانقطاع القدم عن الطريق ، دخلت السيارات الى القرية وبدا الرجال سريعا بانزال الحمولة والتقاط الاكياس من داخلها ، ودفنها بالمنزل ..

****

القوة الخارقة

... فى غرفته بالفندق ومع الصباح الباكر قام مردينى واعد لنفسه كوبا من القهوة ثم جلس يداعب قطته ويرتشف قهوته وينظر بتمعن الى تلك الزجاجة التى وضع فيها جزء من ذلك السائل القرمزى الدى اخده من الجرة ليسافر به الى ايطاليا ليتفحصه ، ثم انزل قطته من على فخذه ووضع الزجاجة على المنضدة وقام كعادته ليدخل إلي الحمام وياخذ حمام ساخن قبل نزوله إلي العمل بالنفق ومتابعة سير الامور وما هى الادقائق بعد دخوله الحمام حتى سمع صوت ارتطام بالغرفه فراعى انتباهه حيث لا يوجد بالغرفه سوى قطته ، وسريعا انهى حمامه مرتديا بشكيره دون ملابسه ، وخرج ليجد القطة اسقطت الزجاجة الموجودة على المنضدة الزجاجية وسط الغرفة و التى تحوى السائل القرمزى الذى اخذه من الجرة ليسافر به إلي ايطاليه محاولا تحليله ومعرفة كنهه ، حاول سريعا ان يلتقط الزجاجة محافظا على ما تبقى منها ووجد القطة تلحس المنسكب من السائل على المنضدة بشراهة ووقف متعجبا حيث يبدوا ان القطة تستسيغ طعمه ، فوقف ينظر اليها والتى ولم يبدوا عليها اى مظاهر اعياء او شىء غريبا، فعاد إلي الحمام وارتدى ملابسه الداخلية ، وعاد لينظر إلي القطة والتى بقيت كما هى بلا ضرر مما تناولت ، فتشجع بان يرتشف شيئا مما تبقى من الزجاجة فلو كان السائل ساما لبدى على القطة اى مظاهر للاعياء ، وقد مر منذ لحست القطة

السائل إلي الان قرابة نصف الساعة ، وبالفعل امسك بالزجاجة وبدأ يرفعها ببطء نحو فمه واخذ جزء قليلا ليتذوقه ، فطعمه ليس سيء ثم انزله من على فمه واخذ يمتص ريقه و يحك لسانه بشفتيه ليرى مذاقه ، فلم يجد ما يسترعى الانتباه الا عدم تعرض هذا السائل للافساد طوال تلك الفترة الطويلة من الزمن ثم ارتدى ملابس الخروج وغادر الفندق متوجها نحو النفق ، ليبدأو فى كيفية الاعداد لخروج القطط الجرانيتيه القابعة فى اسفل النفق حيث ساحة الممرات ورفعها للنفق تمهيدا لخروجها بعد ان تم خروج الذهب كاملا ، ومع وصوله للنفق وجد العمال بالداخل فى انتظاره ومعهم ماتيوث.

هبطوا كلهم السلم المعلق على الجدار ونزلوا لساحة المرات بالاسفل ووقف ماردينى ينظر لتلك القطط ويتشاور مع الرجال على افضل الطرق لرفع تلك التماثيل للاعلى مع الحفاظ عليها ، فالتماثيل من الجرانيت ويبلغ ارتفاع الواحد منها قرابة المتر ونصف والتمثال لا يقل فى وزنه عن نصف طن ، فكل الرجال بالنفق والبالغ عددهم خمس رجال بالكاد يمكنهم ان يحركوه إلي بداية السلم عند الجدار اما رفعه فسيكون معجزا لهم ، واستقر الرأى بينهم ان يجمعوا التماثيل من الممرات ويجعلوها بجوار السلم وحوله ثم يبحثوا فى كيفية رفعها إلي اعلى ، بدأ الرجال بمساعدة ماردينى وماتيوث فى ازاحة التمثال الاول متجهين به نحو السلم المتدلى على السور الجرانيتى ، ومع بداية محاولتهم لتحريك التمثال فوجئوا ان التمثال ليس بالثقل الذى توقعوه وبدأوا فى دفع التمثال امامهم فتحرك معهم

بشكل سلس ، وهنا نادى فيهم ماردينى بانه اختصارا للوقت فاليقسموا انفسهم فريقين وكل فريق يتولى تحريك احد التماثيل ، فذهب ماتيوث واخذ معه دهشورى وجاسر وبقى ماردينى وابوزيد ، وبدأ ماردينى وابوزيد معا فى تحريك القط الاول وهم يجروه بالممر لمسافة تقرب من المائتى متر دون ان يشعرا باجهاد او تعب إلي ان وصلوا به إلي اسفل السلم مباشرة ، ثم تلفتوا على زملاؤهم فلم يجدوهم فعادوا إلي حيث تركوهم فاذا ماتيوث ومن معه لم يتحركوا بالقط المتواجدين حوله قدما متعللين بثقله فانضم اليهم ابوزيد ليصبحوا اربعة بدلا من ثلاثة ولكن التمثال لم يتحرك الا بالكاد وبصعوبة ايضا ، فنظر اليهم ماردينى ضاحكا الهذا الحد ذلك القط ثقيل على الرغم من كونه مماثل لذلك الذى حركناه للتو ، وحاول ان يساعدهم فى تحركه ودفعه للامام فتحرك معهم التمثال بسلاسة وخفة حين انضم لهم ماردينى وسط تعجب الجميع بان التماثيل التى ينقلها ماردينى أو يشارك فيها تكون اوزانها خفيفة فوقف ماردينى وهو ينظر إلي يديه وصدره وجسده بتعجب ثم حاول ان يحرك تمثالا بمفرده فتحرك معه بسلاسة دون ادنى جهد ، اخذ الجميع ينظر إلي بعضه متعجبين مما يحدث ، اقترب ماتيوث من ماردينى وهمس فى اذنه

– اظن ان الامر معك

.. نظر اليه ماردينى وعلاه الدهشة والذهول قائلا :

-- معى انا ؟؟!!

... ثم استأذنهم ماردينى للخروج وسيعود اليهم بعد قليل وخرج من ساحة الممرات وصعد السلم واخذ النفق ركضا ومن امام بوابة المبنى اخذ سيارته وانطلق نحو الفندق وصعد غرفته ، واتجه نحو الزجاجة واخذ ينظر إلي الجزء المتبقى فى قعرها ويقلبه فى يديه ويقربها من عينيه محلقا فيها ويقول لنفسه

-- كلا ان الامر معك انت أمعقول ما يدور بخلدى ، ان كان ما اظنه صحيحا فهذا السائل تناوله من بنى تلك البنايات الضخمة ياالهى انا لا اصدق ثم التقط قطه ورفعه بمحازاة وجهه واخذ ينظر اليه مبتسما ويقول

– اظنك الان اصبحت تضاهى قوة اخوانك القابعين فى الممر .

ثم فتح الزجاجة وتناول البقية منها ، وعاد ثانيا إلي النفق ، ليجد ماتيوث ووجاسر والدهشورى وابوزيد ، لم يحركوا ساكنا من التماثيل الوجودة بالممرات ، وحين ساله ماتيوث إلي اين ذهب راوغه ولم يشأ ان يجيبه بالحقيقة ، وحثهم على العودة للعمل ثانيا وسيشتركون جميعهم فى نقل تلك التماثيل ، وبدأوا بالفعل فى ازاحة التماثيل من الممرات وجعلوهم متراصين حول بعضهم البعض اسفل الهوة الموجودة بالجدار وحول مطلع السلم ، والجميع ينتابه الاستغراب من سهولة الامر فى وجود ماردينى ويصبح شبه مستحيلا ان تركهم ، وطلب ماردينى من جاسر والدهشورى وابو زيد ان يقوموا بتفريغ جميع الجرار المائة واربعون من السوائل الموجوده بداخلها في قارورات بلاستيكية كبيرة احضرها معه مردينى ويجعلوها بالممر ويحكموا أغلاقها جيدا .

القطط فى ايطاليا

... بعد مشاورات بين الجانب المصرى والايطالي على افضل السبل لبيع القطط السبع الموجوده بساحة الممرات ، كان القرار ان يقوم باجيو بجولة خارجية تشمل الولايات المتحدة الامريكية لمقابلة مستر " براون " احد اشهر رجال الاعمال فى كاليفورنيا والمعروف عنه ولعه بالاثار وعرض هذه المجموعة الاثرية من تلك القطط الجراتينية عليه لشراء ما يمكنه منها او كلها ان أراد فهو على صلة بشبكة واسعة من معارفه وزبائنه ، وكذلك على باجيو ان يسافر إلي مسيو " فرانسوا " في باريس صاحب اشهر صالات بيع التحف والانتيكات في اوربا وذو العلاقات النافذه في المجتمع الفرنسي لنفس الغرض وبالفعل ينطلق باجيو إلي الولايات المتحدة ويجتمع بالمستر " براون " الذى يتحمس لشراء العدد الذى يراه مناسبا من تلك القطط السبع على شرط ان يراهم بنفسه قبل الاتفاق على اى سعر ، ويصطحبه باجيوا معه إلي فرنسا التي يقابلوا فيها مسيو "فرانسوا " ويرحب بالعرض على ان يحدد موقفه بعد رؤية تلك التماثيل اما بالشراء المباشر لصالحه او يقوم بعرضهم في صالته ويكون له نسبة عشرة بالمائة كعمولة عن اى قطعة يتم بيعها.

عاد باجيو إلي مصر مصطحبا معه مستر براون ومسيو فرانسوا ليعاينوا تلك التحف الاثرية ، وفى ساحة الممرات ينبهر كلا من مستر براون ومسيوا فرانسوا بتلك التماثيل السبع ويقرروا شراؤها جميعا مشاركة مع بعضهم ، على ان تكون عملية تهريبهم خارج مصر من مهام الجانب المصرى ، ووفق الطرابلسى على ان يسلمهم تلك القطع السبع داخل إيطاليا وهنا نظر اليه باجيوا قائلا انه لن يستطبع مساعدته فى هذه العملية فالعدد كبير وحجمهم ملفت للانظار ولا يستطيع التعامل مع هذه الصفقة ، فابتسم له الطرابلسى واخبره انه لن يحتاج اليه بالكلية ولديه الطريقة التي ستدخل بها تلك الاثار وبشكل رسمي ، ثم طلب من الدكرورى ان يجهز الصناديق الخشبية التي استورد فيها الة الحفر كقطع غيار لعودة تلك القطع إلي إيطاليا مرة اخرى ويكتب في الأوراق ان قطع الغيار غير مطابق للمواصفات المطلوبة ، نظر اليه الدكرورى وقال

-- اها فهمت وهكذا يصبح الامر اسهل ، مجرد ان نجعل أصدقائنا يمرروا الصناديق دون فتحها والأوراق ستكون كلها سليمة !!!!!!

-- هل علمت الان لما انا القائد يا دكرورى

-- نعم علمت ، يالك من اخطبوط .

****

... العمل في ساحة الممرات على قدم وساق لتعبئة وتغليف القطط الجرانيتية السبعة داخل الصناديق الخشبية ، ومن ثم هذا جعل الساحة اقرب إلي قرية البضائع ، ثم بحبال غليظة تم توثيق كل صندوق باحكام و وتوصيل الحبل من الطرف الاخر بمكينة الحفر التي لم تزل على وقفتها بالنفق ، ثم تشعيل الالة للخلف في محاولة استعمالها كالرافعة وبدات الالة تجر الصناديق الخشبية واحد تلو الاخر والعمال يتابعون رفعه عبر فتحة الجدار ومنه إلي النفق ثم وضعهم متقاطرين خلف بعضهم البعض ، بعدها بدأ الطرابلسى في تجهيز سيارة نقل تعلوها حاوية و التي ستقل تلك الصناديق الخشبية نحو ميناء الإسكندرية ومنه إلي ميناء جنوة في شمال ايطاليا ، وسريعا مع شروق اليوم التالى بدأت السيارات النقل المحملة بالحاويات تقف امام المبنى ، وبدأ العمال في خروج الصناديق الخشبية واحدا تلو الاخر ، ومن ثم تحميل الصناديق في الحاوية . واخذت طريقها نحو الإسكندرية ، وقامت اوناش الميناء برفع الحاوية من اعلى السيارة النقل وشحنها بالمركب دون ان يتم فتح الصناديق فالاخطبوط كان قد رتب لكل شىء ، ثم شقت الباخرة عباب البحر متجهة شمالا نحو الاراضى الايطاليه .

****

السر الاعظم

... لم يتبقى من الغنيمة في ساحة الممرات سوى تلك الجرار الموجودة بالغرف والتي افرغ منها ماردينى السائل ، وطلب الطرابلسى ان تباع أيضا في مكانها بساحة الممرات خوفا عليها من التعرض للتلف او الكسر ، وترك تلك المهمة للدكرورى فامر تلك الجرار بسيط سواء في البيع او حتى ان استلزم الامر تهريبهم ، فقد انهى لهم الطرابلسى الامر الأكبر وهو تلك التماثيل الكيرة للقطط ، وكذلك السبائك الدهبية تم تأمينها فى الصعيد بعيد عن الاعين ، ثم طلب الطرابلسى من ماردينى وماتيوث ان يبداوا في كشف امر ذلك العمود فهو الوحيد الذى لا يعرف عنه شيء فى تلك العملية وهل هو مسمط ام ينطوى على شيء داخله كما يتوقع ، وما ان حل شروق اليوم التالى الا وكان العمال يقوموا بدك العمود ولكن ذلك العمود الجرانيتى الضخم ليس بالهين احداث ثقب به، فقد يحتاج نفس طريقة شق الجدار الذى واجههم عند الولوج من النفق إلي الساحة، وهى طريقة التسخين والتبريد حتى يحدثوا التصدع المطلوب فيه ، وما ان قاموا بتسلط النيران عليه ثم تبريده عدة مرات حتى بدات الكثير من الكتابات المدونة عليه تنطمس ملامحها ، وظلوا طوال اليوم حتى حل المساء وهم يقومون بالتبريد والتسخين ، إلي ان بدأت بوادر تشقق في العمود الجرانيتى تظهر وملامح الكتابات والنصوص أصبحت لاتظهر ومع ارهاق العمال من المجهود المضنى

رأو ان يستكملوا العمل صباحا فقد بلغ منهم التعب مبلغه ، ومع بداية اليوم التالى عاود ماردينى بالعمال الكرة مع العمود والذى اصبح مهيأ للانهيار بمجهود اقل من الامس ، فقام العمال بتوجيه الدقاقات لمناطق التشقق والشروخ التي ظهرت بالعمود فما كان من العمود الا ان استحاب لهم وانهار بعد قليل من الضربات المتلاحقة ، و سقط جزء كبير من العمود مدللا على صدق حدث الطرابلسى بان العمود ليس مسمط ، وما ان انهار ذلك الجزء من العمود حتى تقدم ماردينى مطلا براسه منه ، ثم طلب مصباحا ، واطل مرة أخرى ليجد ان الموجود بالعمود سلم دائرى ضخم جدا صاعدا لاعلى بشكل حلزونى ، فاوجس ماردينى في نفسه خيفة ان يدخله منفردا ، فطلب من العمال اصطحابه ، وبداو حثيثا حثيثا يصعدوا درجاته ويرتقوا ويرتقوا إلي ان اعياهم الصعود ، ولم ينتهوا من اخر ذلك العمود وبعد راحة على درجاته الصخرية اللامعة الزاهية اكملا الصعود حتى اصطدما بصخرة في اعلى كل تلك الدرجات ، ثم نادى فيهم ماردينى الم يصطحب احدكم دقاق معه؟

فاجابوه بالنفى وبامتعاض من اجابتهم رأى ماردينى ان يهبطوا ويحضروا الدقاقات معهم لاختراق تلك الصخرة فهى ليست جرانيتينية ولن ترهقهم كسابق ما اخترقوه من جدران جرانيتية فالصخرة من نوع الحجر الجيرى والذى يكفيه الدقاقات دون تبريد وتسخين حتى يكشفوا ما اعلى تلك الصخرة التي انهت صعودهم.

... تجهز الدهشورى وابوزيد وجاسر بالدقاقات والمصابيح وارتقوا تلك الدرجات بالسلم الحلزونى يتقدمهم ماردينى وقرابة الأربعين مترا صعدوا بين وصلا وراحة حتى وقفوا امام تلك الصخرة التي عاقتهم من المواصلة سابقا اخذ الجميع في التقاط الانفاس من مجهود الصعود ، وبعد ان استردوا حيويتهم بداوا في الطرق المتواصل بالدقاقات ولم يستمر الامر كثيرا حتى بدأت الصخرة تنهار امامهم ، وفوجئوا بضوء النهار يخترق المكان مع تيار هوائى شديد واقترب ماردينى ومعه دهشورى ليطلا من تلك الهوة التي سقطت من الصخرة واذا بهما ينتابهم الفزع ويعاودا ادراجهم إلي الوراء ، ويصرخ ماردينى ودهشورى في البقية اسرعوا اسرعوا اهربوا سريعا ، وفى لحظات كان الجميع يتقاطر على السلم هبوطا خلف بعضهم ، حتى هبطوا جميعا إلي ارض الساحة ومنها طالبهم ماردينى بالهروب من النفق سريعا وفى لحظات كان ماردينى قد فصل الاضائة عن النفق واغلقه ولم يترك به سوى مراوح التهوية وخرجوا جميعا . وطالبهم ماردينى بعدم العودة الى النفق الى حين يخبرهم

-- الو ، الو سيد طرابلسى ، اريد ان اقابلك حالا هناك كارثة ،

-- اخبرنى ماذا حدث يا ماردينى ما الامر

-- لن استطيع بالهاتف اريد مقابلتك

-- حسنا تعالي إلي الفيلا الان

.... منطلقا نحو فيلا الطرابلسى وهو يسمع ضربات قلبه في اذنيه وبرعشة في يديه واضطراب في ركبتيه اتجه مردينى نحو التجمع الخامس حيث فيلا الطرابلسى ، وما ان وصل امام بوابتها حتى خرج من السيارة نحو البوابة الحديدية دافعا إياها ومنطلقا نحو الداخل ليجد الطرابلسى يقف والقلق باد عليه كمن ينتظر فاجعة :

-- كارثة يا طرابلسى، كارثة.

-- ماذا حدث ، تكلم

-- صعدنا العمود الجرانيتى الموجود بساحة الممرات واودى بنا إلي سطح الأرض وانكشفنا .

-- ما ذا تقول !! اذاك العمود مؤدى إلي سطح الأرض ؟؟

-- نعم ، نعم .

-- وهل راكم من احد

-- لا ادرى ، بمجرد ان راينا ضوء النهار ، تركنا المكان بالكلية وأغلقت النفق وهربنا ولكن اظن انه لم يتمكن احد من رؤيتنا ولكن المكان اصبح مكشوف .

... اخذ الطرابلسى يحملق في الأرض كمن يمعن التفكير باحثا عن مخرج لهذا المأزق وهو يردد بينه وبين نفسه ، العمود أدى إلي السطح اذا انكشفنا ، واخذ يدور حول ماردينى بشكل دائرى وماردينى يتبعه بنظره منتظرا حلا لتلك الازمة ، ثم توقف ونظر إلي ماردينى قائلا ..

-- انت تقول انه لم يراكم من احد اليس كذلك ؟

-- نعم .

-- وانت أغلقت المكان ولا يوجد أحدا هناك اليس كذلك ؟

- نعم لا يوجد سوى سفيان

-- اذا سفيان يقينا سيشى بنا ان كشف الامر ، حسنا يا ماردينى عليك ان تذهب ليلا وتحاول ان تعاود الصعود للمكان مرة أخرى وترى إلي اى مكان تحديدا يؤدى هذا المنفذ ، ثم تغلق المنفذ كما كان .

-- وماذا لو كان امرنا قد انكشف ، والشرطة عرفت بالامر .

-- كلا كلا .. لو علمت الشرطة لوجدت الاعلام يتحدث والخبر انتشر ، في العالم كله انت غير مدرك أهمية المكان وما يمثله لنا هنا فى مصر ، كلا لا تخف يا مردينى الامر لم يكشف ، ثم لو اكتشفوا العملية لتم القبض علي وعلينا جميعا في الحال فتلك الأرض التي بها مدخل النفق مسجلة باسمائنا .

-- وبكلمات مرتعشة اجابه ماردينى " اذا ربما لم يكتشفوا الامر بعد ، وحينها سيبحثون عنك "

-- وبلهجة حادة واوداج منتفخة وعروق بارزة منتفضة صاح فيه الطرابلسى " وهل سننتظر حتى يكتشفوا الامر اذهب وحاول ان تتبين الامر وتعيد الامر كما كان في هذا الثقب الذى احدثته .

... حاول ماردينى ان يستجمع قواه ويتمالك نفسه وذهب إلي الفندق منتظرا بغرفته امام التلفاز طوال النهار في انتظار اى اخبار عن اكتشاف النفق إلي ان حل المساء وارخى الظلام استاره أتته مكالمة من الطرابلسى ان يذهب ويطمئن فالشواهد تبدى ان الامر على مايرام فبدأ يطمئن نوعا ما ان الامر لايزال طى الكتمان ، و اتصل على الرجال العاملين معه وماتيوث ، وتقابلوا مرة أخرى امام بوابة المبنى ودخلوا سويا وهبطوا النفق ومنه إلي ساحة الممرات واضاؤا المكان ، لا يوجد اى شيء الامر كما هو ، ذهبوا إلي العمود وصعدوه وما ان اقتربوا من أعلاه حتى بداوا يصابوا بالقلق ايهم ينظر من تلك الكوة المفتوحة بالصخر ويرى الامر فتشجع ماتيوث وبدأ ببطء يمد راسه إلي الخارج ليرى ما الامر .

****

بداية النهاية

...و في اعلى العمود لازال ماتيوث يحاول استكشاف المكان حوله ، ومن خلفه يلكزه ماردينى في ظهره سائلا إياه :

-- مالامر يا ماتيوث ماذا هناك ، ماذا ترى ؟؟

-- يبدو اننا فوق مرتفع يا ماردينى ، ولا أرى سوى الاهرام شاخصة امامى ، يمكنك ان تنظر لا تخاف لا احد هنا .

... اخذ ماردينى يقيم ظهره وينظر مع ماتيوث من الكوة وكذلك حاول جاسر والدهشورى وابوزيد واخذ الجميع يتزاحمون حول الكوة لتبيان اين هم ، والجميع حائر اين هم ، كل ما تبينوه الاهرام امامهم ، واضواء بعض المساكن على بعد منها ، وهذه المنطقة لاتوجد بها جبال اوهضاب حتى يكونوا على هذا المرتفع ، ثم استقر بهم الراى ان يسدوا تلك الكوة مرة أخرى دراءا لأفتضاح امرهم ولا يعنيهم اين هم ولينجزوا المهمة المتبقية سريعا وينسوا الامر ، وبالفعل حاول الرجال ان يعيدوا الصخور المهشمه إلي وضعها الاصلى وسد الفجوة بشيء من الاسمنت ، وتركوها وهبطوا السلم الحلزونى وكان شيء لم يكن ،

****

... وبعد ثلاثة ايام فى تمام العاشرة صباحا وامام فيلا الطرابلسى تتوافد سيارات الشرطة وهى تطلق صافراتها المعتادة لتحول المكان الدى يسوده الهدوء إلي ضجيج يصم الادان ، ثلاث سيارات شرطة ممتلئة بالجنود فى مشهد اقرب إلي القبض على احد رجال المخدرات ، حيث كل جندى مسلح برشاش ألي من طراز كلاشينكوف ، وفى السيارة الاولى التى تتقدم الركب يوجد ضابط برتبة عقيد يجلس بجوار سائق السيارة ، وما ان وقفت السيارات امام فيلا الطرابلسى حتى هبط هؤلاء الجنود من السيارات الثلاث ليحاوطوا الفيلا ، ويترجل العقيد من السيارة الاولى متجها نحو بوابة الفيلا ، سائلا الحارس فى لهجة حادة عن الطرابلسى ليجيبه الحارس بارتباك وخوف والكلام بالكاد يخرج من بين ثنايا شفتيه ، انه ليس بالداخل ، فيأمره الضابط بفتح البوابة ، والتى يفتحها الحارس فى ثوان معدودة وهو يرتجف ، ويدخل الضابط إلي الفيلا وهو يسال الحارس الدى يهرول خلفه فى فزع " الا يوجد هنا من نتحدث اليه " فيخبره الحارث بان ابنته سمية بالداخل ، وفى اثناء حوارهما وقبل ان يصلوا إلي بهو الفيلا تخرج سمية منزعجة من صوت سيارات الشرطة لتقابلهم فى الحديقة ، وهى مستغربة من المشهد وتهم بسؤال الضابط

- ما الامر

--اين سرحان الطرابلسى ؟

- ابى ليس هنا ، ما الامر لما تسال عن ابى ؟

-- حين يعود اخبريه بان ياتى إلي النيابة فهو مطلوب هناك

،، ثم انصرف الضابط ومن معه من جنود وسط حيرة وذهول سمية ، والتى سارعت بالاتصال بابيها لتخبره بما حدث .

****

... ما ان علم الطرابلسى من ابنته بالامر حتى سارع بالاتصال بمحاميه ليتحرى الامر ، وكذلك سارع بالاتصال ببقية زملاؤه ليخبرهم بما حدث والذين بدأوا فى الاختفاء حتى يتبين لهم ما الدى يجرى ، لم يعد الطرابلسى إلي فيلته فى انتظار ما يخبره المحامى وكذلك سارع بالخروج من شركته فربما تاتى اليها الشرطة كما ذهبت إلي البيت وطلب من سارة ان تحجز له بفندق رمسيس هيلتون لمد ثلاث ليال على ان لا تخبر احدا بمكانه ايا من كان ، فى هذه الاثناء كان زملاؤه كذلك يتدبر كلا منهم امر اختفاءه إلي ان يخبرهم الطرابلسى بما فى الامر ، وفى اليوم التالى صباحا ذهب المحامى إلي مقر نيابة التجمع الخامس ليستعلم عن سبب استدعاء موكله سرحان الطرابلسى ، لتكون الطامة الكبرى التى لم تخطر على بال احد ، وهو ان الكاميرات المحيطة بمنطقة الاهرامات وابو الهول التقطت صورة لا حد الاشخاص فوق تمثال ابو الهول ثم اختفى بداخله ، وبالتحرى عن ذلك الشخص تبين انه يعمل بشركات الطرابلسى للاستيراد والتصدير وما ان علم الطرابلسى بالامر من محاميه حتى بادر بابلاغ زملاؤه المصريين والاجانب،

فقام على الفور ماردينى وباجيوا بحزم امتعتهم وحجز تداكر السفر والعودة إلي ايطاليا وقام باجيوا بشحن القارورات المحتويه على السائل ، وكذلك بدأ الطرابلسى فى التجهيز سريعا لمغادرة البلاد ، فى تلك الاثناء كانت الشحنة التى تحوى الاثار قد وصلت إلي الشواطىء الايطاليه وقام باستلامها هناك عملاء للطرابلسى من الايطالين ، والذين علموا من ماردينى بما حدث وان الامر انكشف فى مصر وعليهم التصرف فى تلك الاثار سريعا قبل ان تبلغ السلطات المصرية بها ، اما فى مصر فقد كان الطرابلسى ورفاقه يعدون العدة للسفر خارج البلاد ، فقام الطرابلسى بالتسلل

ليلا إلي فيلته ليأخذ بعض الاوراق من الفيلا ويسلم على ابنائه وزوجته ، وما ان وقفت السيارة امام الفيلا حتى فوجىء بمن يلقى عليه القبض ، فقد كانت الشرطة تراقب الفيلا على مدار الساعة

****

نهاية الاخطبوط

... داخل سرايا النيابة يقف جمع غفير من الصحافة والاعلام والكثير من المحاميين فى انتظار خروج الطرابلسى رجل المال الشهير انه الاخطبوط الجميع منتظر لحظة خروجه من الحجز والعرض على النيابة ، وتقف سمية ابنته مستندة إلي حائط مغمضة عيناها فى حالة يرثى لها من هول المفاجئة ولا تدرى ما التهمة الموجهة لابيها تحديدا ، كذلك يقف إلي جوارها اخيها مروان بعيون زائغه لا يدرى ما يفعل حينا يذهب إلي المحامين يستفسر عما يمكن ان يحدث وحينا يتلقى اتصالا من احد الاهل او الاصدقاء ليشد من ازره ووسط كل هده الاجواء المتوترة يظهر احد العساكر وبجواره الطرابلسى بيديه كلبش يقيده مع العسكرى المكلف بحراسته وكذلك يحيط بالطرابلسى ثلاثة من امناء الشرطة ، وما ان رأه الموجودين بسرايا النيابة حتى التفوا حوله ليشدوا من أزره وانطلقت نحوه سمية تحتضنه وهى منهارة ، ليربت على ظهرها دون ان ينطق بكلمة واحده.

يحاول العسكرى المقيد مع الطرابلسى فى الكلبش والطاقم المكلف بالحراسة ان يشقوا طريقهم وسط الزحام وهم يسحبون الطرابلسى حتى وصلوا إلي باب غرفة رئيس النيابة ودخلوا به ، وفك امناء الشرطة الكلبش من يده ليجلس الطرابلسى امام رئيس النيابة ويبدأ معه التحقيق و الدى استمر قرابة

الخمس ساعات تم خلالها تشديد الخناق عليه ومحاصرته بالاسئلة والوقائع حتى انهار الطرابلسى فى النهاية وبدا يدلى بمعلومات حول العملية وبسؤاله عن كيف خطط للعملية اقر بان سفيان هو من اوحى اليه بكلامه عن المنطقة والاثار المحتمل وجودها بها ، وبسؤاله عن مكان سفيان اشار الى انه مقيد ومحبوس بالنفق ليصدر رئيس النيابة قرارا بخروج قوة لتحرير سفيان والقبض عليه ، ثم قرر رئيس النيابة حبس الطرابلسى لمدة خمسة عشر يوما على ذمة القضية التى حررت له وهى الاتجار فى الاثار ، ليخرج بعدها من غرفة التحقيق إلي غرفة الحجز وسط زحام الموجودين فى الخارج ، وتحاول سمية ومروان الاستفسار من المحامين عن الامر ليخبروهما انه محبوس على ذمة قضية للاتجار بالاثار، لتسقط سمية مغشية عليها وسط الجمع المحيط بها وهم يحاولون افاقتها والخروج بها إلي سيارتها .

****

المحكمة

... فى الثامنة صباحا يتم ترحيل الطرابلسى من دائرة قسم التجمع الخامس فى سيارة الترحيلات والتى هى اشبه بصندوق من الحديد المحكم الغلق ولا يوجد به سوى شبابيك حديدية ضيقة المسام بالكاد تسمح بالتنفس والرؤية من خلالها ضعيفة جدا مرتديا سروال ابيض وكذلك جاكت بنفس اللون وهى الملابس التى يرتديه من هم فى الحبس الاحتياطى على ذمة القضايا ، يصعد إلي السيارة وكذلك معه شركاؤه الدكرورى ومصطفى الصاوى وحمزة الفقى وكذلك العمال جاسر والدهشورى وابو زيد وكذلك تم ترحيل سفيان معهم والذى كان هو اول الصاعدين الى سيارة الترحيلات ، ليغلق عليهم طاقم الحراسة باب السيارة وتنطلق متجهة نحو المحكمة التى لا تبعد سوى ثلاثة كيلومترات عن مقر دائرة قسم الشرطة، وفى داخل السيارة الجميع يتبادل النظرات الزائغة والوجوم يسيطر على الكافة ولا يوجد صوت سوى طاقم الحراسة داخل كابينة القيادة يتبادلون الحديث حول اجراءات التأمين، وما هى الا دقائق معدودة حتى وصلت السيارة إلي المقر الفسيح الخاص بمحكمة جنايات التجمع الخامس ، ليبدأ طاقم الحراسة فى انزال المتهمين واحدا تلو الاخر ، متجهين بهم صوب الطابق الاول حيث القاعة المخصصة لانعقاد المحاكمة ، ويتم ايداعهم بالقفص الحديدى المخصص للمتهمين .

... فى تمام الساعة التاسعة صباحا تنعقد هيئة المحكمة ، القاعة ممتلئة بالصحفيين ورجال الاعلام والمحامين وكذلك اسر المتهمين ومنهم سمية ومروان اولاد الطرابلسى وكذلك زوجته ووالد سفيان والكل يعتريه القلق والخوف مما هو ات ، وما ان دخل القضاة حتى نادى الحاجب بصوت جهورى " محكمة "

أخذ الجميع يشخص ببصره نحو القاضى مستمعا اليه بانصات ليرى ما ستسفر عنه تلك المحاكمة ، وبدأ القاضى فى النداء على المتهمين مبتدأ بسرحان الطرابلسى والذى اجابه بالحضور ثم سفيان والذى اجاب بالحضور ايضا وكذلك بقية المتهمين المصريين ، وعند النداء على المتهمين الاجانب لم يجب احد ، فجميعهم قد غادروا البلاد

ثم بدأ القاضى بتوجيه حديثه إلي سرحان الطرابلسى ، بانه متهم فى القضية رقم ٢٥٤ جنيات الجيزة حيازة وتهريب اثار سائلا اياه فيما هو منسوب اليه، ليلتقط محامى الطرابلسى طرف الحديث مطالبا القاضى بالحديث نيابة عن موكله، فيسمح له القاضى ويبدأ المحامى بمحاولة ابعاد التهمة عن موكله متهما (الدكرورى) الدى يعمل مع الطرابلسى بانه قام من تلقاء نفسه بالحفر والتنقيب دون علم موكله وهنا انتفض محامى الدكرورى نافيا ان يكون الدكرورى فعل ذلك من تلقاء نفسه ، وأخذ السجال يذور بين محامى الطرابلسى ومحامى الدكرورى وكلا منهما يحاول القاء التهمة على الاخر لينهى القاضى الحوار بينهما

دون تحديد ما اذا كان الدكرورى فعلها بتحريض من الطرابلسى ام من تلقاء نفسه ثم طلب القاضى من هيئة الفاع عن كلا من المتهمين الباقين عرض ما لديهم من دفوع ثم وجه القاضى الحديث لسفيان قائلا:

_ سفيان هل لديك محامى للحديث نيابة عنك

_ كلا سيدى القاضى سادافع عن نفسى بنفسى

_ حسنا ، ما قولك فيما هو منسوب اليك من المشاركة فى اعمال التنقيب عن الاثار وتهريبها إلي خارج البلاد ؟؟

__سيدى القاضى هذا الكلام به ماهو صحيح وبه ما هو غير صحيح وان سمحت لى هيئة المحكمة اوضح ما اقصد

__ تكلم

__ سيدى القاضى أما يخصنى انا تحديدا فى هذه القضية ، فهل انا انا كنت معهم فى التنقيب عن الاثارا نعم فهذا حدث ولكن ان سمحت لى هيئة المحكمة بشرح ما داعانى لذلك حتى تكون على بينة بالامر .

" اشار له القاضى بيده ان تكلم " وأخذ سفيان يشرح للقاضى الامر مند بدايته قائلاً :

... سيدى القاضى

.. مند نعومة اظفارى ومن بداية نشاتى وانا لم اعرف سوى حب تلك البلاد التى نشات فيها تلك البلاد ذات التاريخ والخيرات نعم لم يكن لى نصيب من تلك

الخيرات ولكنى كنت دوما أمنى نفسى بانى سأنال شيئا يوما ما جراء محبتى لتلك الارض ، فلقد عشقت تضاريسها ووعيت تاريخها .

... وهنا قاطعه القاضى قائلا :

-- وهل كل من لم ينل شيئا يبيع ويفرط ويترك نفسه للاهواء ، واين العلم واين التاريخ الذى درسته ووعيته

وهنا سريعا بادر سفيان بمقاطعة القاضى قائلا :

كلا كلا سيدى ، اما بخصوص التاريخ فالامر ليس كما تقول فمن المعلوم ان التاريخ دوما يكتبه الطرف المنتصر يملى رؤيته ويقر سطوته على الطرف الخاسر والمنكسر وما بين نصرة هذا وانكسار دالك تضيع الكثير من الحقائق والمعلومات البعض منها منها يطوى والبعض ينسى والكثير بالكلية يمحى ، ولا يتبقى لنا سوى شىء من حق قليل فكم بالتاريخ من جماعات جاهدت وناضلت وسميت فى التاريخ حركات وكم من رموز خانت وباعت ودونها التاريخ بانها للشرف علامات ، ان التاريخ بحاجة إلي غربلة إلي فرز إلي تمحيص حتى يمكننا فرز الغث من السمين ومن تكون له الريادة ومن يذهب إلي اسافله ، نحن اليوم نعيش فى فجوة حضارية بيننا وبين من كنا لهم نبراسا نعيش مرحلة سوء الاوضاع وتردى الاخلاق وانهيار القيم وتلك نتيجة منطقية لهده الحقبة الظلامية.

ولعل ابن خلذون لخص الامر قبل سبعة قرون حين قال:

" عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والمتسولون والمنافقون والمدّعون .. والكتبة والقوّالون .. والمغنون النشاز والشعراء النظّامون .. والمتصعلكون وضاربو المندل.. وقارعو الطبول والمتفيقهون.. وقارئو الكفّ والطالع والنازل .. والمتسيّسون والمدّاحون والهجّاؤون وعابرو السبيل والانتهازيون.. تتكشف الأقنعة ويختلط ما لا يختلط .. يضيع التقدير ويسوء التدبير.. وتختلط المعاني والكلام.. ويختلط الصدق بالكذب والجهاد بالقتل .. عندما تنهار الدول يسود الرعب ويلوذ الناس بالطوائف.. وتظهر العجائب وتعم الإشاعة .. ويتحول الصديق إلي عدو والعدو إلي صديق.. ويعلو صوت الباطل.. ويخفق صوت الحق .. وتظهر على السطح وجوه مريبة .. وتختفي وجوه مؤنسة .. وتشح الأحلام ويموت الأمل .. وتزداد غربة العاقل وتضيع ملامح الوجوه .. ويصبح الانتماء إلي القبيلة أشد التصاقا .. وإلي الأوطان ضربا من ضروب الهذيان .. ويضيع صوت الحكماء في ضجيج الخطباء .. والمزايدات على الانتماء .. ومفهوم القومية والوطنية والعقيدة وأصول الذين .. ويتقاذف أهل البيت الواحد التهم بالعماله والخيانة .. وتسري الشائعات عن هروب كبير .. وتحاك الدسائس والمؤامرات .. وتكثر النصائح من القاصي والداني .. وتطرح المبادرات من القريب والبعيد .. ويتدبر المقتدر أمر رحيله والغني أمر ثروته .. ويصبح الكل في حالة تأهب وانتظار .. ويتحول

الوضع إلي مشروعات مهاجرين .. ويتحول الوطن إلي محطة سفر .. والمراتع التي نعيش فيها إلي حقائب .. والبيوت إلي ذكريات والذكريات إلي حكايات "

... سيدى لقد نشأت فى تلك البلاد والتى كانت لى هواء اتنفسه ، فقد نشأت فى اسرة فقيرة لاب وام يسعوا جاهدين ان يوفروا لى ما يلزمنى من رعاية وتعليم وبالفعل استطاعوا بشق الانفس ان يوفروا لى قدر من التعليم اتاح لى معرفة ما سبق وذكرته وقد تخرجت من الجامعة ولكنى ادركت شيئا فشيئا بانى لن انال شيئا واصبح حلمى ان اجد ما يسد الرمق ويغنينى شر السؤال ، فلم اجد فرصة للعمل وحين وجدت كانت لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ووسط كل تلك المأسى ظهر لى من يمد لى ذراعا لطالما انتظرتها طويلا ولكنها كانت ذراع الاخطبوط التى لفت حول قيمى ومبادئى وافترستها لاصبح له هدفا سهلا ، نعم لقد تنازلت عن مبادىء وما كنت اؤمن به ولكن قبل ان توجه اللوم لى سيدى القاضى وجه اللوم لمن تركنى فريسة لتلك اليد ، وجه اللوم لمن تذللت على ابوابهم اخبرهم ان لدى ما يجعلنا نتقدم للامام ولو بخطوة صغيرة وجه اللوم لمن اوصدوا فى وجهى الابواب حيت اخبرتهم بان لدى من المعرفة والعلم ما لا يعلمون ، سيدى القاضى انا لا اريد منكم تخفيف الحكم على او الغاءه بقدر ما انى اريد ان لا يقع احد فيما وقعت فيه ، ثم أخذت سفيان نوبة من البكاء لم يستطع مواصلة حديثة ، ثم رفع القاضى الجلسة للتدوال.

واذا بسمية تتجه نحو قفص الاتهام وتضع يدها على يد سفيان الممسكة بالقفص وهو لا يزال يجهش بالبكاء ، فرفع بصره واذا سمية مثله منهارة باكية ، فربت على يدها ولم تمر سوى بضع دقائق الا وعادت هيئة المحكمة للانعقاد والتزم الكل مكانه فى الجلوس وبدا القاضى يعلن الحكم .

لينال الطرابلسى وشركائة المصريين حكما بالمؤبد وكذلك حكما غيابيا بالمؤبد على الاجانب بالقضية ، وبقية رجال الطرابلسى من العمال عشر سنوات مع الاشغال ، ويحصل سفيان على سنة مع ايقاف التنفيد .

****

تمت بحمد اللّه